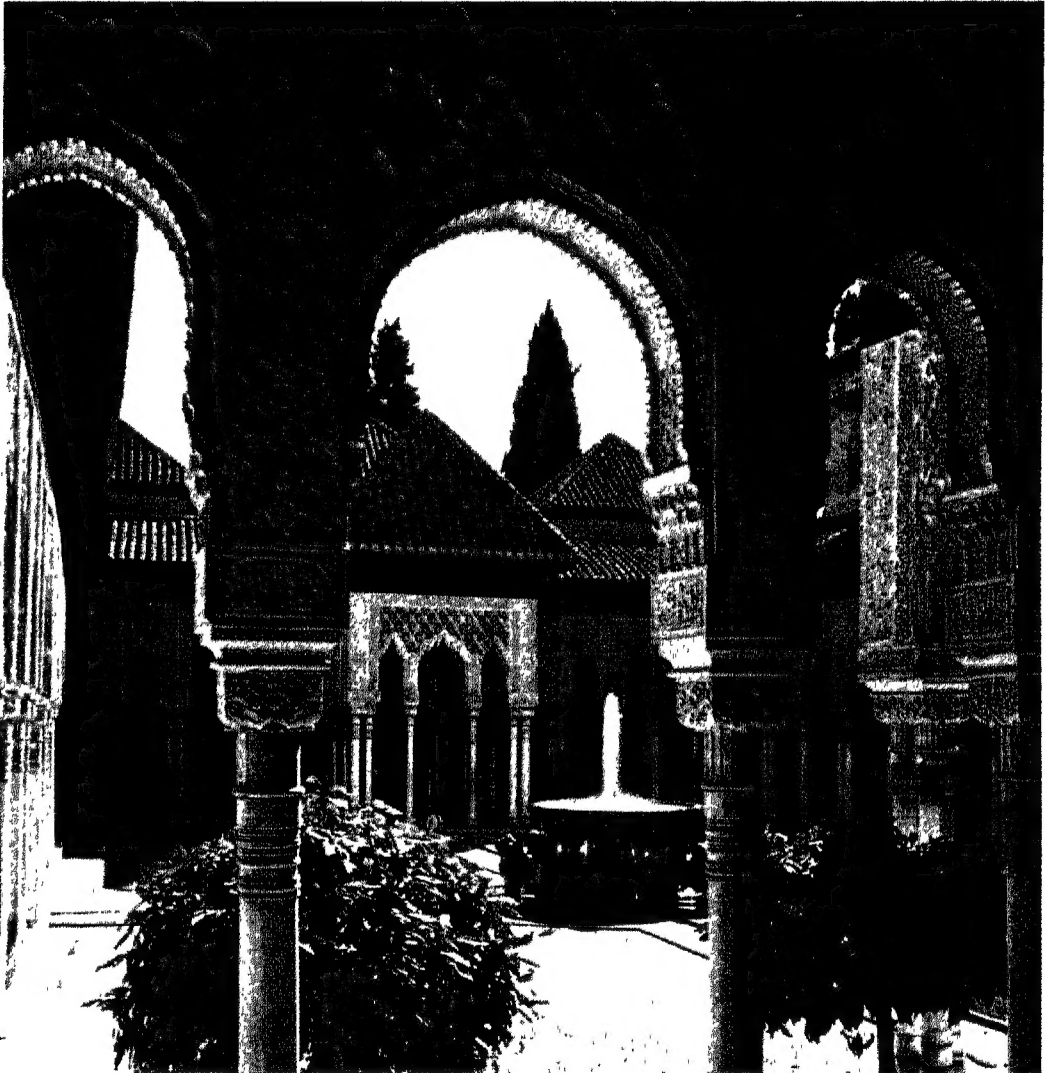


# دراسات فى تاريخ وحضارة المغرب و الأندلس



مركز الإسكندرية للكتاب  
٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة  
ت : ٤٨٢٦٥٠٨ الإسكندرية

الأستاذ الدكتور  
كمال السيد أبو مصطفى  
أستاذ التاريخ الإسلامى و الحضارة الإسلامية  
بكلية التربية - جامعة الإسكندرية



# دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس

**دكتور**

**كمال السيد أبو مصطفى**

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية  
بكلية التربية - جامعة الإسكندرية

الناشر

**مركز الاسكندرية للكتاب**

٤٦ ش الدكتور مصطفى مشرفة - اسكندرية  
ت ٤٨٢٦٥٠٠ - الاسكندرية

**١٩٩٧**



## مقدمه

شتمل كتاب دراسات فى تاريخ وحضارة المغرب والاندرلس على ثلاثة بحوث هى :

- (١) بنو تافراجين ودورهم فى تاريخ الدولة الحفصية.
- (٢) تاريخ مدينة طرطوشة الإسلامية وحضارتها فى عصر دويلات الطوائف (القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى).
- (٣) شخصيات سكندرية فى الأندلس فيما بين القرنين الثالث والسادس للهجرة .

ويبدأ هذا الكتاب ببحث عن أسرة بنى تافراجين ودورها السياسى والحضارى فى العصر الحفصى (فيما بين سنة ٦٧٤ - ٨٣٧ هـ / ١٢٤٩ - ١٤٣٤ م)، وبنو تافراجين من الأسر البربرية أو المغربية الموحدية الشهيرة وأصلهم من قبائل مسمودة بالمغرب الأقصى ، ولع اسمهم منذ بداية عصر دولة الموحدين ، ثم هاجروا الى إفريقيا (المغرب الأدنى) فى بداية عصر الدولة الحفصية (منتصف القرن ٧ هـ) ، وأهم شخصيات تلك الأسرة الحاجب عبدالله بن تافراجين الذى قام بدور بارز وخطير فى الحوادث السياسية فى إفريقيا خلال القرن ٨ هـ / ١٤ م ، فكان المدبر الحقيقى لأمر الدولة الحفصية سنوات عديدة ، وأصبح فى بعض الفترات السلطان غير المتوج للدولة الحفصية ، كما كانت له اسهاماته الحضارية خلال تلك الفترة سواء فى تطور خطة الحجابة أو رعايته للعلم والعلماء علاوة على أعماله العمرانية فى مدينة تونس .

وفى البحث الثانى تناولت تاريخ مدينة طرطوشة الإسلامية وحضارتها فى عصر دويلات الطوائف ، ومما دفعنى الى اختيار هذا البحث انصراف الباحثين عن

دراسة تاريخ تلك المدينة الأندلسية لقلة المادة العلمية سواء المتعلقة بتاريخها السياسى أو بمظاهرها الحضارية فى العصر الإسلامى . وعلى هذا حاولت أن أسلط بعض الأضواء على دورها السياسى - وخصوصاً - فى عصر دويلات الطوائف (القرن ٥ هـ / ١١م) عندما قامت بها إمارة طائفية مستقلة عن الحكومة المركزية بقرطبة ، كما حرصت على الإشارة الى بعض مظاهر الحضارة الاسلامية بها مثل العمران ومظاهر الحياة الاقتصادية والحركة العلمية والأدبية .

أما البحث الثالث فقد تعرضت فيه لدراسة بعض الشخصيات السكندرية فى الأندلس فيما بين القرنين الثالث والسادس للهجرة ، حيث أنه من الملاحظ اهتمام الباحثين بدراسة موضوع العلاقات التاريخية والحضارية بين مصر والأندلس ، وتركيزهم على التأثيرات المغربية والأندلسية فى مصر وفى الاسكندرية بصفة خاصة.

ولذا رأيت أهمية دراسة التأثيرات التى أحدثها الطرف الآخر وأعنى بذلك التأثيرات السكندرية فى الأندلس سواء فى المجال السياسى أو الحضارى وذلك من خلال تناول بعض الشخصيات السكندرية التى هاجرت الى الأندلس واستقرت هناك ، ولعبت دوراً مهماً فى الحياة السياسية والحربية والاقتصادية والفكرية خلال الفترة موضوع البحث .

ولعلنى بتلك البحوث أكون قد ساهمت ولو بقدر يسير فى إبراز بعض الجوانب فى تاريخ وحضارة الغرب الإسلامى .

والله الموفق ،،

د. كمال أبو مصطفى

الاسكندرية فى الثانى من سبتمبر ١٩٩٦

## البحث الاول بنو تافراجين ودورهم فى تاريخ الدولة الحفصية (٦٤٧ - ٨٣٧ هـ / ١٢٤٩ - ١٤٣٤ م)

أولية بنى تافراجين :

لعبت بعض الأسر العريقة دوراً مهماً فى تاريخ الدولة الاسلامية ، سواء فى المشرق او المغرب الإسلامى ، ومن أمثلة ذلك : أسرة البرامكة فى العصر العباسى الأول ، والوزير بدر الجمالى وابنه الافضل فى العصر الفاطمى ، وبنو عامر فى عصر الدولة الأموية بالأندلس ، وبنو عباد أصحاب إشبيلية فى عصر دويلات الطوائف ، وغيرهم كثير .

وفى إفريقية (المغرب الأدنى) خلال العصر الحفصى (القرن ٧هـ - ١٠هـ / ١٣ - ١٥م) اشتهرت العديد من الأسر العربية والبربرية ، التى يرجع أصلها إما إلى الإندلس أو المغرب ، ومن ذلك : بنو سيد الناس الإشبيليون وبنو أبى الحسين الأندلسيون <sup>(١)</sup> ، وبنو تافراجين <sup>(٢)</sup> البربر وغيرهم من البيوتات البارزة ، التى اسهمت فى تاريخ إفريقية السياسى والحضارى خلال عصر الدولة الحفصية.

أما بنو تافراجين - موضوع البحث - فهم من الأسر الموحدية البربرية الشهيرة ، وأصلهم من بربر تينملل <sup>(٣)</sup> ، الذين ينتمون الى قبائل مصمودة

---

(١) راجع التفاصيل حول تلك الاسر الاندلسية ودورها فى العصر الحفصى فى بحثى : «الأندلسيون فى تونس واسهاماتهم الحضارية» ، مجلة كلية التربية - جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٢ .

(٢) وردت كلمة «تافراجين» فى المصادر العربية فى صور متعددة منها : تافراجين وتفرجين وتيفراجين وتفرجين وتافراكين وتافركين.

(٣) تينملل (أو تنمل أو تاملل أو تاغللت) : حصن يقع بمنطقة جبل درن (أحد جبال أطلس) ببلاد السوس جنوب المغرب الأقصى . وهو حصن منيع صعب المرتقى . ويذكر ابن خلدون أن = = =

بالمغرب الأقصى ، ولع اسمهم منذ بداية عصر الموحدين أى مع ظهور دعوة الإمام المهدي بن تومرت زعيم الحركة الموحدية فى المغرب، حيث كان جدهم أبو حفص عمر بن تافراجين من أهل خمسين<sup>(١)</sup> ، وأحد اعوان المهدي فى نشر دعوة الموحدين بين بربر تينمل، فقد قام بمبايعته على رأس أهل بلده تينمل عند وصوله إليها فى سنة ١٥هـ/ ١١٢١ - ١١٢٢ (٢) .

= = قبائل المصامدة كثيرة بتلك المنطقة ومنهم هنتاتة وتينمل وهرغة، ويضيف المراكشى أن الامام المهدي بن تومرت اتخذ من حصن تينمل مركزاً له لخصائمه ومناعته ، ومنه قامت دعوته، وبه قبره. راجع التفاصيل حول وصف تينمل فى : ( مؤلف مجهول ، الاستبصار فى عجائب الأمصار، تحقيق سعد رغلول عبدالحميد، مطبعة جامعة الاسكندرية، ١٩٥٨ ، ص ٢٠٨، المراكشى ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ، ١٩٦٢م، ص ٢٥٤؛ ابن خلدون ، العبر، ج ٦، طبعة بيروت ١٩٧٩ ، ص ١٢٨ ؛ عبدالعزيز بنعبد الله ، الموسوعة المغربية للأعلام (معلمة المدن والقبائل) مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية، عام ١٩٧٧ ، ص ١٦٢؛ عبدالوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج ١ ، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٨ ، ص ٣٠٣ - ٣٢٤؛ روجى لى تورنو، حركة الموحدين ، ترجمة أمين الطيبى ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ١٩٨٢ ، ص ٣٤ - ٣٥؛

Basset et Terrasses, Sanctuaires et forteresses almohades (collection Hesperis) Paris, 1932, pp. 1- 8.

(١) أهل خمسين (أو أيت خمسين) : صنف الإمام المهدي أصحابه إلى طبقات، فجعل منهم العشرة أو أهل الجماعة ، وهم المهاجرون الأوائل الذين أسرعوا إلى إجابته، أما أهل خمسين فهم الطبقة الثانية، وكانت تتكون من خمسين عضواً من. عدة قبائل ساهمت فى تأسيس حركة الموحدين فى المغرب، ومنهم أهل تينمل ، ويذكر المراكشى أن هذه الطبقات لا تجمعها قبيلة واحدة، بل هم من قبائل شتى ، وكان المهدي يطلق عليهم اسم «المؤمنين». انظر (البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، طبعة ليفى بروفنسال ، باريس ١٩٢٨ ، ص ٣٤؛ المراكشى ، نفسه ، ص ٢٥٢؛ ابن خلدون ، نفسه، ج ٦ ، ص ٣٤٨ ؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، ج ٢ ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ، ص ٨٥؛ هويكنز النظم الإسلامية فى الغرب، ترجمة ، أمين الطيبى، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ١٩٧٧ ، ص ١٩٣ - ١٦٦).

(٢) البيذق، نفسه ، طبعة بروفنسال ، ص ٣٤ ؛ السلاوى ، نفسه، ج ١ ، ص ٣٢٣؛ محمد الهادى العامرى تاريخ المغرب العربى ، تونس ، ١٩٧٤، ص ١١٢ ؛ هويكنز ، نفسه ، ص ١٦٤ - ١٦٥.



وفى عهد الخليفة عبدالمؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين - (٥٢٤ - ٥٥٨هـ/ ١١٣٠ - ١١٦٣م)، ولى عمر بن تافراجين على فاس عندما فتحها الموحدون فى سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥ - ١١٤٦م، ثم تولى مراكش إثر فتحها فى سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦ - ١١٤٧م، حيث كان الخليفة عبد المؤمن يستخلفه على الامارة والصلاة أثناء غيابه عنها، مما يدل على المكانة البارزة التى تمتع بها مؤسس هذه الأسرة لدى الموحدين، غير أن ابن تافراجين لم يلبث أن قتل بقصبة مراكش على أيدي بنى آصغار - أخوة المهدي - حينما ثاروا على الخليفة عبدالمؤمن بمراكش فى سنة ٥٤٩هـ - ١١٥٤ - ١١٥٥م منتهزين فرصة غيابه لزيارة قبر الامام المهدي بتينملل (١).

وبعد وفاة عمر بن تافراجين خلفه ابنه عبدالله الذى تمتع بنفس المكانة المرموقة التى كانت لوالده، فتذكر المصادر انه كان من كبار الموحدين ومشيختهم ومن ذوى الرأى والمشورة فى الدولة الموحدية. ومما يدل على ذلك انه عندما أسند الخليفة يوسف بن عبد المؤمن - (٥٥٨ - ٥٨٠هـ/ ١١٦٣ - ١١٨٤م) ولاية قرطبة لأخيه السيد أبى اسحق، انزل معه للمشورة جماعة من شيوخ الموحدين على رأسهم عبدالله بن عمر بن تافراجين (٢).

وبرز من أولاده ابنه عمر بن عبدالله بن تافراجين، الذى حظى بنفس مكانة والده البارزة فى الدولة، فولاه الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي (٥٨٠ - ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ - ١١٩٩م) قابس وأعمالها عقب فرار نائب قراقوش

(١) انظر: البيهقي، نفسه، طبعة عبدالحميد حاجيات، الجزائر، ١٩٧٤، ص ١٤١ - ١٤٢؛ ابن خلدون، نفسه، ج ٦، ص ٢٣٦ - ٢٤٨؛ ابن الشماخ، الأدلة البينة النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر المعموري، ليبيا - تونس ١٩٨٤، ص ٩١ هـ ٢، برنشفيك، تاريخ إفريقية فى العهد الحفصى، ج ١، ترجمة حمادى الساحلى، بيروت ١٩٨٨، ص ١٨٦.

(٢) العبر، ج ٦، ص ٣٤٩.

الأرمني<sup>(١)</sup> عنها عندما علم بهزيمة سيده أمام جيش يحيى بن غانية<sup>(٢)</sup> ، الذى لم يلبث أن زحف نحو قابس ، وحاصر واليها الموحدى عمر بن تافراجين حصاراً شديداً، وبعث الى أهلها يندبرهم ويحذرهم ، مما اضطر أهل قابس الى اجبار واليهم ابن تافراجين على الإذعان والاستسلام ، وفتحوا أبواب المدينة لابن غانية، بعد أن اشترطوا عليه إعطاء الأمان لابن تافراجين ، وأن يتوجه صحبة أهله وماله فى البحر إلى المغرب الأقصى ، فوافق على شروطهم ، وذلك فى رمضان سنة ٥٩١هـ / ١٩٩٤ - ١١٩٥م<sup>(٣)</sup> .

وقد برز أيضاً من بنى تافراجين فى أواخر عصر الموحدين شخصيات عديدة من أهمهم : عبدالعزيز بن تافراجين ، وهو من شيوخ الموحدين فى مراكش آنذاك ، وشارك فى الحوادث السياسية بها ، فى عهد الخليفة أبى العلاء إدريس المأمون

---

(١) هو شرف الدين قراقوش (أو قراقش) الغزي الأرمني، أصله من الأرمن ، وكان يقال له المعظمى والناصرى، لأنه كان يخطب للناصر صلاح الدين الأيوبي . وهو من ممالك الغز الذين قدموا من مصر، وكان مملوكاً لتقى الدين ابن أخى صلاح الدين. وقد وفد قراقوش على رأس الممالك الغز إلى إفريقيا وتولى حكم طرابلس ، وتحالف مع عرب بني هلال، كما تعاون فترة مع بني غانية، وأغار معهم على الأطراف الشرقية للدولة الموحدية بالمغرب ، واستولى على بعض المدن والمعاقل هناك. راجع عنه : (المراكشى المعجب، ص ١٦٥ - ٣٦٦؛ التجانى ، الرحلة، طبعة تونس ، ١٩٥٨ ، ص ١٠٣؛ ابن خلدون ، نفسه ، ج ٦، ص ١٩٢؛ الزركشى ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور ، تونس ، ١٩٦٦، ص ١٦؛ عزالدين موسى ، دراسات فى تاريخ المغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٣، ص ٢٤).

(٢) هو يحيى بن إسحاق بن محمد بن غانية المسوفى، من قبيلة مسوفة البربرية - إحدى قبائل المرابطين - ويذكر المراكشى أن بني غانية كانوا من قادة المرابطين، وأبلوا بلاء حسناً فى الجهاد، وتدعيم دولة المرابطين فى بلاد المغرب والأندلس ، ثم استقروا فى مبرقة، وحملوا لواء الثورة ضد الموحدين عقب سقوط دولة المرابطين. انظر : (المعجب ، ص ٣٤٢ - ٣٥٢؛ العبر، ج ٦، ص ٢٤٢ - ٢٤٧ - ٢٤٨؛

Alfred Bel, Les Benou Ghanya, Paris, 1903, p. 1- 19.

(٣) انظر : رحلة التجانى ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ؛ العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩؛ برنشفيك، نفسه، ج ١ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

بن المنصور الموحيدي (٦٢٤ - ٦٢٩ هـ - ١٢٢٧ - ١٢٣٢ م) ، حيث انضم إلى شيوخ الموحدين بالحاضرة مراكش عندما نقضوا بيعة الخليفة المأمون، وبايعوا ابن أخيه يحيى بن الناصر الملقب بالمعتصم عقب دخوله مراكش في سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ - ١٢٢٩ م ، مما أدى إلى غضب المأمون عليه ، فقرر التخلص منه إثر عبوره من الأندلس إلى المغرب واستيلائه على مقاليد الحكم بمراكش، وذلك بأن أوعز إلى بعض أعوانه باغتياله عند ذهابه إلى المسجد لصلاة الفجر (١).

وتفيد المصادر بأن الخليفة المأمون الموحيدي ندم على قتله شيخ الموحدين عبدالعزيز بن تافراجين ، فرعاها له في أخيه عبدالحق وبنيه ، بأن أعاد إليهم نفوذهم ومكانتهم المتميزة في الدولة (٢) ، غير أن ذلك لم يستمر طويلا ، إذ سرعان ما تدهورت الأوضاع في الدولة الموحدية بالمغرب الأقصى بسبب الفتن والحروب الداخلية بين الموحدين من بني عبدالمؤمن طمعا في الحكم ، في الوقت الذي ازداد فيه نفوذ بني مرين (٣) ، مما اضطر بنو تافراجين إلى الرحيل من المغرب الأقصى إلى إفريقيا التي كانت تنعم آنذاك بالأمن والاستقرار والازدهار الحضاري في ظل الحفصيين ، ولذا أصبحت في تلك الفترة (أواسط القرن

(١) انظر ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص ٢٢

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩ .

(٣) من المعروف ان الفترة الأخيرة من عصر الموحدين قد حفلت بالاضطرابات والانقسامات والحروب الداخلية بين أمراء الموحدين ، بسبب التنافس والصراع حول العرش ، في الوقت الذي ازداد فيه نفوذ بني زيان في تلمسان بالمغرب الأوسط ، وكذلك بني مرين الذين سيطروا على المغرب الأقصى، وتمكنوا من القضاء على دولة الموحدين هناك في سنة ٦٨٨ هـ/ ١٢٦٩ - ١٢٧٠ م، وذلك بمقتل أبي دبوس الواثق بن محمد أبي حفص بن عبدالمؤمن الموحيدي في نفس السنة أثناء الحرب ضد بني مرين ، راجع التفاصيل في (المراكشي ، نفسه ، ص ٤٠٤ - ٤٠٩؛ العبر ، ج ٦ ، ص ٢٥ - ٢٦؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص ٢٠ - ٢٢) .

١٣/هـ ١٣٠٠م) محط رحال المهاجرين من الأندلسيين والمغاربية على السواء (١).

### بنو تافراجين وبداية اتصالهم بالحفصيين

بدأت هجرة بنو تافراجين إلى إفريقية في بداية عصر الدولة الحفصية ، وكان أول من هاجر إليها من بني تافراجين كبيرهم عبدالحق - سالف الذكر - الذي رحل إلى تونس - حاضرة الحفصيين - واستقر بها في عهد السلطان محمد المستنصر بالله بن أبي زكريا الحفصى (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ / ١٢٤٩ - ١٢٧٧ م)، الذي استقبله بالحفاوة والترحاب وقربه إليه ، نظراً لأصله العريق ، وللخدمات الجليلة التي قدمتها عائلته للموحدين منذ عهد الإمام المهدي بن تومرت (٢) .

ويبلغ من ثقة الخليفة المستنصر الحفصى فى الشيخ عبدالحق بن تافراجين، أن أسند إليه قيادة بعض الحملات العسكرية الموجهة للقضاء على الثوار والعصاة، فيذكر ابن خلدون ان المستنصر عهد اليه بقيادة حملة إلى الحامة (٣) ، بسبب قرد وعصيان شيوخها وذوى الرأى والنفوذ فيها . فقام بتلك المهمة خير قيام ، وتمكن من اخماد الثورة بمنطقة الحامة ، «وقتل أهل الخلاف ، وحسم العلل» (٤) .

(١) انظر : العبر ، ج ٦ ، ص ٢٩٦ ، ٣٤٩ ؛ ابن القنفذ، الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد النيفر وعبدالمجيد التركي ، تونس ١٩٦٨ ، ص ١٠٩ ؛ الزركشي ، نفسه ، ص ٢٥ ؛ Basset et Brunshwing, Initiation a la Tunisie, Paris, 1950, p. 9().

(٢) انظر : ابن خلدون ، نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٤٩ ؛ برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

(٣) الحامة (أو الحمة وتسمى أيضا حامة قابس أو حامة مطماطة نسبة إلى سكانها من البربر) : هي إحدى مدن بلاد قسطنطينية بجنوب إفريقيا (المغرب الأدنى) ويذكر الحميري أنها تقع على مقربة من قابس واشتهرت بكثرة النخيل وأهلها موصوفون بالشهامة والنجدة. انظر (البكري، المغرب فى ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، نشر مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ ، ص ٤٨ ؛ العبر ، ج ٦ ، ص ٤١٨ ؛ الحميري، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، ص ٢٠٠) .

(٤) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٠٤ ، ٣٤٩ ؛ ابن القنفذ، الفارسية ، ص ١٤٤ ؛ الزركشي ، نفسه ، ص ٤٧ ؛ محمد العروسى المطوي ، السلطنة الحفصية، نشر دار المغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٦ .

وفى عهد السلطان أبى اسحاق إبراهيم بن الواثق بن المستنصر الحفصى (٦٧٨ - ٦٨١ هـ / ١٢٧٩ - ١٢٨٣ م) تولى عبدالحق بن تافراجين حكم بجاية وكانت من الحواضر الحفصية المهمة - آنذاك - وذلك عقب مقتل واليها محمد بن أبى هلال <sup>(١)</sup> فى سنة ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م ، فاضطلع بها ، وأظهر كفاءة وحزما فى إدارة شئونها ، ووطد نفوذ الحفصيين ونشر الأمن والاستقرار فيها <sup>(٢)</sup> .

وعندما تمكن أحمد بن مرزوق بن أبى عمارة الدعى من الاستيلاء على الحكم فى الدولة الحفصية مدعيا انه الفضل بن الواثق فى سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م استعان بخدمات شيخ الموحدين عبدالحق بن تافراجين ، لخبرته الادارية والحربية الطويلة ، واخلاصه فى خدمة الدولة ، فعهد اليه فى سنة ٦٨١ هـ بقيادة جيش من الموحدين لتأديب العرب ، ووضع حد لعيثهم وفسادهم فى حواضر وقرى إفريقية وقد نجح فى تحقيق اهداف تلك الحملة واثبت جدارته فى القيام بتلك المهمة الصعبة ، حيث اتخن فى العرب ، وقتل بعض زعمائهم ، وقبض على البعض الآخر من مشيرى الشغب والفتنة ، وعاد ظافراً الى الحاضرة تونس ، وظل يتمتع بالجاه والرياسة والنفوذ حتى وفاته <sup>(٣)</sup> .

---

ص ٢٦١؛ برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(١) هو شيخ الدولة أبو عبدالله محمد بن أبى هلال الهنتاتى ، كان من كبار رجال دولة السلطان الواثق بن المستنصر الحفصى فى بجاية ، غير أن ابن الحبيب (رئيس دولة) الواثق وكاتب علامته) ولى أخاه ادريس بن عبدالمملك على بجاية فأراد التخلص من ابن أبى هلال وكبار الجند فيها وعندما علموا بذلك ثاروا ضده وقتلوه فى سنة ٦٧٧ هـ ، وبايعوا الأمير أبى اسحاق إبراهيم بن الواثق الذى دخل بجاية فى نفس السنة ، ثم سرعان ما استولى على تونس وتولى حكم الدولة الحفصية فى سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م ، ولكن بعد ان استقر حكمه قام بالتخلص من ابن أبى هلال ، حيث امر بقتله فى بجاية فى سنة ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م لازدياد نفوذه «ولما كان يتوقع منه من المكروه فى الدولة» ، وما عرف به من لاسعى فى اثارة الفتنة ، انظر (العبر ، ج ٦ ص ٢٩٧ - ٢٩٩ ؛ ابن القنفذ ، نفسه ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، ٢٥٩ ؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٤٢ ، ٤٤ .

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩ .

(٣) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ، ٣٠٤ ؛ ابن القنفذ ، نفسه ، ص ١٤٤ ؛ الزركشى ، نفسه ، ص

وبعد وفاة عبدالحق بن تافراجين خلفه فى قيادة أسرته بنو أخيه عبدالعزيز وهم: أحمد ومحمد وعمر ، الذين جاءوا على أثره من المغرب الأقصى ، واستقروا بالحاضرة تونس ، فنزلوا بها خير منزل ، وتمتعوا بمركز مرموق فى الدولة الحفصية آنذاك . وكان أبو العباس أحمد بن عبدالعزيز بن تافراجين هو كبير تلك الأسرة، فولاه السلطان أبو حفص عمر بن أبى زكريا الحفصى (٦٨٣ - ٦٩٤ هـ/ ١٢٨٤ - ١٢٩٥ م) على قفصة ثم المهديّة ، وظل واليا بالمهديّة حتى التمس من السلطان الاستعفاء من الولاية ، فأعفى <sup>(١)</sup> ، ورغم زهده فى الامارة كان السلطان أبو عصيدة - الذى خلف السلطان أبا حفص فى سنة ٦٩٤ هـ يستخلفه على الحاضرة تونس أثناء غيابه عنها ، وذلك تمشيًا مع سياسة أسلافه نحو تلك الأسرة الموحدية، حيث كان بنو تافراجين موضع ثقة السلاطين الحفصيين ورعايتهم، وقد استمر الشيخ أبو العباس أحمد بن تافراجين على مكانته وحظوته حتى توفى فى أواخر عهد السلطان أبى عصيدة فى سنة ٧٠٣ هـ/ ١٣٠٣ ، تاركا إبنين أحدهما أبو محمد عبدالله وهو الأكبر - والآخر يدعى أبا العباس أحمد <sup>(٢)</sup> .

بنو تافراجين ودورهم السياسى والحضارى فى القرن ٨ هـ/ ١٤ م

أ - بداية ظهور الحاجب عبدالله بن تافراجين :

يعتبر شيخ الموحدين الحاجب أبو محمد عبدالله بن أحمد بن تافراجين

٤٧: المطوي ، نفسه ، ص ٢٦١: برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩: برنشفيك ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩ . وجدير بالاشارة هنا أن الشيخ أبا العباس احمد والد الحاجب الشهير عبدالله بن تافراجين - علاوة على مشاركته فى الادارة والحكم . كان أيضا من العلماء الذين برزوا فى العلوم الشرعية، حيث وصف فى كثير من الوثائق بأنه «الشيخ الأجل الفقيه المحدث الراوية». انظر:

(Amari, Diplomi arabi dell'archivio Fiorentio, t. I, Firenze, 1863, p. 99)

التي نمللى ، أبرز شخصيات أسرته خلال العصر الحفصى ، لما له من دور بارز وخطير فى الحوادث السياسية فى افريقية فى القرن ٨هـ / ١٤م ، وما تمتع به من نفوذ واسع وسلطات مطلقة مدة ما يزيد من عشرين سنة، حيث كان المدبر الحقيقى لأمور الدولة سنوات عديدة، وأصبح فى بعض الفترات السلطان غير المتوج للدولة الحفصية.

وقد نشأ أبو محمد عبد الله بن تافراجين وأخوه أبو العباس أحمد نشأة طيبة فى كنف السلاطين الحفصيين ورعايتهم ، إذ كان أبوهما - كما سبق الذكر - من كبار رجال الدولة ومن ذوى الرأى والمشورة فيها. ولم يلبث عبد الله أن قام بتدعيم مكانته بالزواج من ابنة أحد ذوى النفوذ فى البلاط الحفصى وهو ابن يزدوتن<sup>(١)</sup> - شيخ الموحدين آنذاك - وساعد ذلك علاوة على استعداده الشخصى ، وإخلاص أسرته للحفصيين، على سرعة ارتقائه للخطط الكبرى فى الدولة<sup>(٢)</sup> .

فى عهد السلطان أبى ضربة محمد المنتصر بن اللحيانى (٧١٧ - ٧١٨هـ / ١٣١٧ - ١٣١٨م) حظى عبد الله بن تافراجين بصداقة السلطان، الذى استخلصه لنفسه ، وأثره بصحبته ورفع منزلته ، وظل من المقربين إليه إلى أن هُزم فى وقعة مصوح<sup>(٣)</sup> فى سنة ٧١٨هـ، فأمر بالقبض عليه

(١) هو أبو يعقوب بن يزدوتن أحد شيوخ الموحدين فى عهد السلطان أبى عصيد (٦٩٤ - ٧٠٩هـ)، وقد تولى رئاسة الموحدين وتدير الدولة بتونس فى سنة ٧٠٦هـ / ١٣٠٦ - ١٣٠٧م، عندما عزم عزم شيخ الموحدين أبو يحيى زكريا بن اللحيانى فى الخروج للحج، كما تولى مشيخة الموحدين بتونس فى عهد السلطان أبى بكر بن عبد الرحمن الحفصى المعروف بالشهيد فى سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، وعندما استولى أبو البقاء، خالد بن يحيى الحفصى على الحاضرة تونس وتولى مقاليد الحكم فى سنة ٧٠٩هـ أبى عليه فى رئاسة الموحدين مشاركا للشيخ أبى زكريا يحيى بن أبى الأعلام ، اظنر (العبر ، ج ٦ ، ص ٣٢ : الزركشى ، نفسه ، ص ٥٩ - ٦٠).

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩ : برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

(٣) مصوح : يقع ذلك الموضع ببلاد هواة (شرقى المغرب الاوسط) ، وفيه نشبت الموقعة بين السلطان أبى بكر الحفصى صاحب قسنطينية وبيجاية - آنذاك - وبين منافسه السلطان أبى ضربة ==

واعتقاله فترة مع كثير من شيوخ الموحيدين <sup>(١)</sup> ، ويبدو أن ذلك بسبب الوشايات التي كثيراً ما يقوم بها الحاقدون في البلاط ؛ أو أن يكون السلطان قد أحس بميلهم لمنافسة السلطان أبي بكر بن يحيى الحفصى (صاحب قسنطينة وبجاية آنذاك) وهو ما نرجحه ، حيث أن الحوادث التالية تشير إلى وجود نوع من التحالف بين ابن تافراجين والسلطان أبي بكر ، ويؤكد ذلك الخطوة والمكانة السامية التي تمتع بها في عهده .

وفي عهد السلطان أبي بكر بن يحيى الحفصى (٧١٨ - ٧٤٧هـ / ٣١٨ - ١٣٤٦م) بدأ اسم عبدالله بن تافراجين يلعب في الحاضرة تونس ، وازداد نفوذه ، وتدرج سريعاً في المناصب القيادية في الدولة ، فكان في البداية ضمن حاشية السلطان أبي بكر الذي وثق به وأسند إليه بعض المهام الخطيرة ، ومن ذلك اعتماده عليه في السفارة إلى المرينيين أصحاب المغرب الأقصى ، حيث أرسله في سنة ٧٣٠هـ مع ابنه الأمير أبي زكريا الحفصى على رأس سفارة إلى السلطان أبي سعيد المريني (٧١٠ - ٧٣١هـ / ١٣١٠ - ١٣٣١م) ، للاستنجاد به ضد بنى زيان (بنى عبدالوادر) أصحاب تلمسان ، الذين استولوا على تونس في سنة ٧٣٠هـ / أواخر ١٣٢٩م . وساهم ابن تافراجين بدور فعال في توطيد العلاقات بين الحفصيين والمرينيين و عقد التحالف بينهما عن طريق المصاهرة ، بزواج الحرة فاطمة ابنة السلطان أبي بكر الحفصى من الأمير أبي الحسن على ابن السلطان أبي سعيد المريني في سنة ٧٣١هـ / ١٣٣٠ - ١٣٣١م <sup>(١)</sup> . كذلك أرسله

---

== بن اللحياني وذلك في سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م - ١٣١٩م ، وفيها تمكن السلطان أبو بكر من إيقاع الهزيمة بأبي ضربة ، وقتل في تلك المعركة بعض شيوخ الموحيدين وعدد من أفراد البيت الحفصى؛ راجع : (ابن خلدون ، نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ؛ برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٣) .

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤١ - ٣٤٩ ؛ يحيى بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من ==



السلطان في سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤ - ١٣٣٥م في سفارة ثانية لحليفه وصهره السلطان أبي الحسن المريني (ببيع سنة ٧٣١هـ)، وذلك لتجديد العهد وتوثيق عرى التحالف بينهما في مواجهة بني زيان (أصحاب تلمسان) العدو المشترك<sup>(١)</sup>.

وعقب ذلك رقاءه السلطان ابو بكر الى خطة الوزارة خلفا للشيخ أبي محمد بن القاسم<sup>(٢)</sup>، ثم ولاه خطة الحجابة لابنه الأمير أبي زكريا صاحب بجاية في سنة ٧٤٠هـ / ١٣٤٠م «فأقام أحوال ملكه، وعظم أبهة سلطانه ووطد دعائم حكمه في ولاية بجاية وأعمالها، غير أن ذلك أثار عليه حقد شيوخ الموحدين ببجاية، ولذا طلب الاستعفاء، فأعفى وعاد إلى مكانه بالحاضرة تونس<sup>(٣)</sup>، حيث قدمه السلطان شيخا للموحدين في سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١ - ١٣٤٢م، وكان أصحاب النفوذ في الدولة ومنهما الحاجب ابن عبدالعزيز<sup>(٤)</sup> والقائد ابن الحكيم<sup>(٥)</sup>،

== من بنى عبدالواد ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر سنة ١٩٨٠ ، ص ٢١٨ ؛ الزركشي ، نفسه ، ص ٦٨ ؛ حسن حسني عبدالوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ، طبعة تونس ، سنة ١٩٧٦ ، ص ١٣٧ ؛ رضوان البارودي ، سفارات متبادلة بين بني ريان ومملكة أراجون ، دار نشر الثقافة ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ٤٣ - ١١ ، المطوى ، السلطنة الحفصية ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ ؛ مارسية ، بلاد المغرب وعلاقاتها بالشرق الإسلامي ، ترجمة محمود هيكل ، الاسكندرية ، ١٩٩١ ، ص ٣٤١ - ٣٤٢ ؛ برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(١) الزركشي ، نفسه ، ص ٧٣ .

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٣ ؛ ابن القنفذ . الفارسية ، ص ١٦٥ ؛ محمد الهادي العامري ، تاريخ المغرب العربي ، ٩٣ .

(٣) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٣ ، برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

(٤) هو الحاجب أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عبدالعزيز الغساني ، اصل سلفه من الأندلس، وهاجروا الى مراکش ، واستخدموا بها للموحدين ، واستقر أبوه اسماعيل بالحاضرة تونس، ونشأ ابو القاسم بها ، وتولى بعض المناصب المهمة، حيث ولاه ابن غمر (حاجب السلطان أبي بكر خطة الاشغال (وزارة المال)، ثم تقلد خطة الحجابة للسلطان أبي بكر عقب نكبة حاجبه ابن سيد الناس ، انظر العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٨ ؛ ابن الشماخ ، نفسه ، ص ٩٠ .

(٥) هو القائد ابو عبدالله محمد بن علي بن حمزة المعروف بابن الحكيم ، نشأ في كنف الدولة ==

يرجعان إليه ويعولان على رأيه <sup>(١)</sup> .

وفى سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣ - ١٣٤٤) اتاحت الظروف لشيخ الموحدين عبدالله بن تافراجين تولى خطة الحجابة للسلطان - أبى بكر - وكانت أهم خطط الدولة الحفصية حينذاك ، وذلك عقب وفاة الحاجب ابن عبدالعزيز الغسانى فى نفس السنة <sup>(٢)</sup> .

وما ان تولى ابن تافراجين الحجابة حتى قرر الانفراد بتدبير شئون الدولة، والاستحواذ على النفوذ فيها ، بالتخلص من منافسه القائد ابن الحكيم ، (وزير الجند) ووجد الفرصة سانحة للايقاع به ، إثر تغيّر السلطان عليه ، بعدما حذره حاجبه ابن عبدالعزيز قبيل وفاته من ابن الحكيم وخطورته على دولته وتآمره عليه. ولذا نجح الحاجب ابن تافراجين بالتعاون مع السلطان أبى بكر فى التخلص من هذا المنافس القوى ، ونكبته فى سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣ - ١٣٤٤م <sup>(٣)</sup> .

وبذلك أصبح الحاجب عبدالله بن تافراجين هو المدبر الوحيد لأمر الدولة.

== الحفصية ، واختصه الحاجب ابن غمر وهياه لتقلد الخطط العليا فرقى إلى عمل باجة ، واضطلع به ، وهو الذى تولى اعتقال الحاجب ابن سيد الناس وتعذيبه، فعقد له السلطان أبو بكر التدبير فى الحرب ، ثم انقلب عليه وأضر نكبته بإيعاز من حاجبه ابن عبدالعزيز وانتهى الأمر باعتقاله ومصادرة أمواله ، ثم قتله فى سجنه سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م. (انظر العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ ، ٣٥٠؛ الفارسية ، ص ١٦٣ ، ٢٧٨) .

(١) ابن خلدون ، نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٥٠ .

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٠ ، ابن الشماخ ، الأدلة البينة ، ص ٩٠؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٧٧ ، ابن أبى دينار ، المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس تحقيق محمد شمام ، ط ٣ ، تونس ١٣٨٧هـ ، ص ١٤٤ ، وجدير بالذكر هنا ان ابن القننذ اشار إلى أن تولية ابن تافراجين الحجابة للسلطان أبا بكر كانت عقب مقتل القائد ابن الحكيم الذى جمع بين قيادة الجيش والحجابة فى تلك الفترة ، (الفارسية ، ص ١٦٥) والحقيقة ان تلك الرواية غير صحيحة، ولم يأخذ بها ، لأن جميع المصادر الأخرى اتفقت على ان ابن تافراجين خلف ابن عبدالعزير فى الحجابة عقب وفاة الأخير سنة ٧٤٤هـ وهو ما أثبتناه بالمتن .

(٣) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٠ ابن القننذ ، الفارسية ، ص ١٦٥ ، برشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

وبذلك أصبح الحاجب عبدالله بن تافراجين هو المدير الوحيد لأمر الدولة، وصاحب الحل والعقد فيها ، مما ساعده على توطيد نفوذ أسرته ، حيث كان له دور واضح فى تولية أخيه أحمد الوزارة فى سنة ٧٤٤هـ، ثم تقليده قيادة الجيش عقب ذلك . غير أن القائد أحمد بن تافراجين لم يلبث أن قتل فى أوائل سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م ، على يد سحين من أولاد القوس (من عرب بني حكيم)، وهو من الخارجين عن الطاعة، عندما هاجمه بأتباعه فجأة أثناء قيامه بجباية الضرائب من بلاد هواره ، وذلك بايعاز من ابن عتو (شيخ الموحدين وحاجب الأمير أبى العباس بن أبى بكر الحفصى وإلى بلاد الجريد) الذى كان منافسا لبني تافراجين وحاظدا على منزلتهم الرفيعة فى الدولة (١) .

ومن جهة أخرى كان للحاجب عبدالله بن تافراجين دور كبير ايضا فى اتمام المصاهرة الثانية بين الحفصيين والمرينيين ، وتأکید التحالف بينهما ، وذلك بزواج السلطان أبى الحسن المرينى من الحرة عزونة ابنة السلطان أبى بكر فى سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، بعد مقتل أختها فاطمة أثناء وقعة طريف بجنوبى الأندلس (وتسمى فى المصادر الاسبانية موقعة نهر سلاو Rio Salado ) والتى هزم فيها أبو الحسن المرينى امام نصارى قشتالة فى صفر سنة ٧٤١هـ/ اغسطس ١٣٤٤م (٢) .

ونستنتج من المصادر أن الحاجب ابن تافراجين - الذى تميز ببعده النظر - كان حريصا على عقد تلك المصاهرة ، وبذل مجهودا ضخما لاقتناع السلطان أبى بكر بالموافقة عليه، و ذلك لمعرفته بمدى قوة دولة بنى مرين فى بلاد المغرب، ولكى

(٣) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٠ : ابن القنفذ، الفارسية، ص ١٦٥ : برنشفيك ، نفسه، ج ١، ص ١٨٧ .

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ : الرركشى ، نفسه ، ص ٧٨ : برنشفيك، نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٧

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ : السلاوي الناصرى، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، ج ٤، تحقيق جعفر الناصرى، محمد الناصرى ١٥٣ : برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٤ - ١٩٥

يوطد علاقته وصداقته بالسلطان أبى الحسن المرىنى ، ليكون عوناً وملجأً امناً له فى حالة تقلب الأحوال بالحاضرة تونس ، أو إذا ما تنكر له سلاطين بنى حفص لوشاية أو مؤامرة من أحد الحاقدين عليه فى البلاط الحفصى ، وعلاوة على ذلك كانت الدولة الحفصية وعلى رأسها السلطان أبى بىم ، وحاجبه ابن تافراجين ، بحاجة ماسة إلى مساعدة المريبين والتحالف معهم فى مواجهة الصعط الربابى على الأجزاء الغربية للدولة

ب - ابن تافراجين ودوره فى تولية السلطان أبى حفص عمر الحكيم  
كان السلطان أبو بكر قد أسند ولاية العهد لابنه أبى العباس أحمد وإلى بلاد الجريد (جنوب إفريقيا) غير انه لما توفى السلطان أبو بكر فجأة فى رجب سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م. قام ابنه أبو حفص عمر - الذى كان مقيماً آنذاك بالحاضرة تونس - ويتحريض من الحاجب عبدالله بن تافراجين بالسيطرة على القصر ، وضبط أبوابه ، تمهيداً لأخذ البيعة من شيخ الموحدين وأهل الشورى فى الدولة. منتهزاً فصة غياب أخيه أبى العباس - ولى العهد بقفصة - حاضرة بلاد الجريد (١١)

وحاول الأمير أبو حفص اقناع القاضيين ابن عبدالسلام (قاصى الجماعة) والأجمى (قاضى الأنكحة) بمبايعته دون جدوى ، بحجة أنه سبق لهما ان شهدا فى بيعة أخيه أبى العباس كولى للعهد ، وفى ظل هذه الظروف العصبية التى تمر

(١١) انظر ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٥ ، ابن الشماخ ، الأدلة البينة ، ص ٩١ ، الزركشى ، تاريخ الدولتين ، ص ٨ ، السراج الاندلسى ، الحلل السندسية فى الخبر التوسسة ، مجلد ٢ تحقيق الحبيب الهيلة ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ١٦٨ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ح ٥ ، طعة بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ١٢٦ ، المطوى ، السلطنة الحفصية ، ص ٣٧١

بها الدولة الحفصية، وعدم قدرة الأمير أبي حفص على السيطرة على زمام الأمور بتصدى الحاجب ابن تافراجين لمواجهة الموقف ، ويقوم بتذليل تلك العقبة، وإجبار القاضيين على مبايعته ، وذلك بان امر ألا يخرج أحد من المجلس - بقصر الحكم ثم طلب من القاضيين الاشتغال بغسل السلطان أبي بكر وتكفينه ، وعقب ذلك اسندعى وجوه الموحيدين وقواد الجند وأعيان الحاضرة، وأخرج لهم الأمير أبا حفص عمر فبايعوه ، وما شعر القاضيان ومن معهما حتى سمعوا جلبة الطبول والبوقات ، «وهنا علما ببأ مبايعة أهل الحل والعقد للأمير أبي حفص، فاضطروا إلى قبول الأمر الواقع ، ومبايعته ، وكتبت وثيقة بعقد البيعة له «لاختيار العامة والخاصة إياه عن ولى العهد»، ويضيف الزركشى ، ان ذلك يدل على حسن سياسة الحاجب ابن تافراجين، ومقدرته على تصريف مشاكل الدولة (١) .

والحقيقة أن الدور الخطير الذى قام به الحاجب ابن تافراجين فى تولية أبي حفص عمر الحكم بدلا من أبي العباس ولى العهد ، لم يكن يهدف من وراءه مصلحة الدولة أو الرعية، بل كان يخدم - فحسب - أغراضه الشخصية وطموحه فى النفوذ والسلطة، بمعنى أنه كان يرمى إلى الاستبداد بالحكم عن طريق تفويض السلطان أبي حفص له تدبير أمور دولته بصفته الحاجب، تقديراً لجهوده ودوره

---

(١) أنظر تاريخ الدولتين، ص ٨٠ النشرىسى ، المعيار العربى ، ج ١ ، طبعة وزارة الاوقاف المغربية، ١٩٨١ ، ص ٥٠ : ٦ : السلاوي ، نفسه ، ج ٤ ، ص ١٥٤ ؛ حسن حسنى عبدالوهاب خلاصة تاريخ تونس ، ص ١٤٠ : المطوى ، نفسه ، ص ٣٧١ - ٣٧٢ ؛ محمد الهادى العامرى تاريخ المغرب العربى ، ص ٩٣ :

وهكذا تولى السلطان أبو حفص عمر بن أبي بكر الحفصى العرش وتلقب بالناصر لدين الله ، عقب وفاة أبيه فى الثانى من رجب سنة ١٣٤٦/هـ ، إلا أن ذلك أدى الى حدوث الاضطرابات والفتن فى الدولة. فنشبت الحرب بين أبناء الأسرة الحفصية لان أبا العباس - ولى العهد الشرعى - (والى الجريد) عندما علم باستيلاء أخيه أبى حفص على العرش ، صمم على استرداد حقه الشرعى فى الحكم فجمع من حوله أنصاره من الأعراب ، وزحف بهم نحو الحاضرة تونس ، فى الوقت الذى بدأ فيه السلطان أبو حفص يتنكر لحاجبه ابن تافراجين بسبب وشايات منافسيه فى الحاشية، الذى أوعزوا صدره عليه، وأثاروا مخاوفه من ازدياد نفوذ حاجبه الطموح واستبداده بأمرور الدولة، ويذكرونه بالمتافسة القديمة بينه وبين الحاجب خلال عهد السلطان أبى بكر، وقد أحسن ابن تافراجين بذلك، وتأثر السلطان بسعاهيه خصومه ، مما ينذر بالخطر فى حالة الاستمرار فى صحبة السلطان أبى حفص ، ولذا أعمل الحيلة فى الخلاص والهرب لحين تتحسن الاحوال لمصلحته ، ويتمكن من العودة الى تونس لمواصلة الاستحواذ على السلطة (١).

وعلى هذا انتهز الحاجب ابن تافراجين وصول الأمير أبى العباس بقواته قرب الحاضرة تونس ، وقبيل التقائه بجيش السلطان أبى حفص - خارج الحاضرة - قرر الهرب ، حيث تذرع للسلطان بضرورة العودة إلى تونس فى بعض المهام العاجلة (٢) ، ثم جمع ذخائره وأمواله وفر ليلا إلى قسنطينة ومنها اتجه الى

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦؛ ابن الشماخ، نفسه ، ص ٩٢؛ ابن دینار المؤنس ، ص ١٤٥ ؛ برنشفيك، نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٦ .

(٢) من الملاحظ ان ابن الشماخ قد انفرد بذكر رواية مفصلة حول كيفية فرار الحاجب ابن تافراجين قبيل المعركة. فأوضح انه طلب من السلطان أبى حفص ان يرجع الى الحاضرة تونس، «ليأخذ من المال ما يكمل به حركة من بقى من الأجناد، فأسعفه بذلك ، وبعث من خدمه من يأمر أمه ان تعطيه ما يقول لها، فدخل تونس ووصل القصبة وأخذ من أم السلطان ما أراد، وانصرف إلى رياضه فدخله ...» وجلس خدام السلطان ينتظرون عند الباب ، وكان ذلك فى العتمة أول الليلة من رمضان ، فركب جواده وخرج من الباب الآخر متوجها الى المغرب، انظر (الأدلة البينة ، ص ٩٢).

السلطان الى الحسن المرينى بالمغرب الاقصى (١) . وفى تلك الأثناء علم أبو حفص بفرار حاجبه ابن تافراجين فاضطرب لذلك ، واختل مصاف جيشه ، واضطر للهرب هو وجنده إلى تونس ومنها إلى باجة ، مما مكن الأمير أبا العباس احد من دخول العاصمة تونس فى الثامن من رمضان ٧٤٧هـ / ديسمبر ١٣٤٦م ، ولكنه لم يستمر فى الحكم سوى سبعة أيام ، وذلك إثر قيام إبنى حفص بهجوم مفاجئ على تونس ، أسفر عن اقتحامها وفرار أبى العباس عنها ، ثم القبض عليه وقتله واستتباب الحكم للسلطان أبى حفص مرة ثانية (٢) .

#### جـ . ابن تافراجين ودوره فى التدخل المرينى فى إفريقية :

عندما علم السلطان أبو الحسن المرينى باستيلاء أبى حفص على العرش وقتله لأخيه أبى العباس - ولى العهد الشرعى - ، غضب لذلك لأنه كان قد

---

(١) تجدر الإشارة هنا إلى ان ابن القنفذ أفاد بأن الحاجب ابن تافراجين لم يطمئن الى السلطان أبى حفص مما اضطره للفرار الى المغرب ، حيث توجه أولا الى قسنطينة ، غير ان السلطان بعث وراءه من رده ، وثقف ليلتين في قصبة تونس ، « ثم أطلقه المزوار القائد نبيل لمصلحة ، وغرب الى الأمير أبى الحسن المرينى ... » ، والحقيقة ان تلك الرواية جانبها الصواب ولا تتفق مع مجريات الحوادث ، ولذا لم تأخذ بها ، لأن كل المصادر الاخرى أجمعت على ان أبا حفص عندما علم بفرار حاجبه اضطرب وفر أيضا من المعركة ، والتجأ إلى باجة ، وبالتالي لم يكن مهتماً باعادة ابن تافراجين إلى تونس بسبب صعوبة الموقف الذى كان يتعرض له من جانب جيش أخيه أبى العباس ، الذى لم يلبث أن استولى على الحاضرة تونس عقب فرار السلطان أبى حفص عنها . انظر : (الفارسية ، ص ١٦٩ . وراجع ايضا للمقارنة بين الروايات : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٦ ؛ الأدلة البينة ص ٩٢ ؛ تاريخ الدولتين ، ص ٨١ ؛ المؤنس ، ص ٦٤٥ ؛ الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، مجلد ٢ ، ص ١٦٨) .

(٢) انظر : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ ؛ ابن الشماخ ، الأدلة البينة ، ص ٩٣ ؛ الزكشى ، تاريخ الدولتين ، ص ٨١ ؛ السراج الأندلسى ، الحلل السندسية ، مجلد ٢ ، ص ١٦٨ ؛ ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ١٤٥ ؛ جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ج ٢ ، تعريب محمد مزالى والبشير بن سلامة ، تونس ، ١٩٧٨ ، ص ١٨٤ ، برنشفيك ، ج ١ ، ص ١٩٦ .

شهد على سجل توليته العهد ، وكتب ذلك بخطه فى السجل. وعلى هذا رأى السلطان أبو الحسن فى نقض أبى حفص العهد ، وقتله لأخيه ذريعة للتدخل فى إفريقية، ويسط نفوذه عليها ، خاصة وأنه كان يطمح إلى ذلك ويمنى نفسه بملكها منذ عهد السلطان أبى بكر الحفصى، وما شجعه على ذلك أيضا تحريض ابن تافراجين له ، وترغيبه فى ملك إفريقية، ويؤكد ذلك قول الزركشى أن السلطان أبا الحسن المرنى أجمع الحركة على إفريقية، وقوى عزمه على ذلك قدوم الوزير ابن تافراجين ...» (١) .

وجدير بالملاحظة أن بعض الروايات التاريخية تلقى على موقف ابن تافراجين من الحفصيين ومدى إخلاصه لهم بعد وفاة أبى بكر الحفصى، ظلالة من الشك، خاصة وأن كل المصادر أجمعت على أنه هو الذى مهد الطريق أمام المرينيين لغزو إفريقية، ويمكن القول أن حرصه على تدعيم صلتة بالمرينيين خلال عهده أبى سعيد المرنى وابنه أبى الحسن ، ودوره الفعال فى اتمام المصاهرة الثانية بين الحفصيين والمرينيين ، وتسببه فى أحداث النزاع بين الآخرين حول العرش رغم تعيين ولى العهد ، ثم تخليه عن سلطانه أبى حفص فى وقت عصيب لمجرد الظن بتغير السلطان عليه، وإسراعه بالفرار واللجوء الى السلطان أبى الحسن المرنى، وتحريضه إياه على غزو إفريقية، كل ذلك يؤكد حرص الحاجب ابن

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧؛ ابن الشماخ ، نفسه ، ص ٩٤؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٨٢؛ السراج ، ص ١٧٠ ، ابن أبى دینار ، نفسه ، ص ١٤٦؛ برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٦ - ١٩٧؛

Josefa Mutge Vives, Algunas noticias sobre la relaciones entre la corona catalano-aragonesa Y El reino de tunez, en actas del coloquio, Madrid, 1988, p 137

وجدير بالإشارة هنا أن أبا الحسن المرنى عقب هزيمته فى موقعة نهر سلادو أمام النصارى القشتاليين وجه نشاطه العسكرى تجاه بلاد المغرب بعد أن منى بالفشل فى الجبهة الاندلسية ، ولا شك أن تلك التغيرات السياسية التى حدثت بإفريقية فى تلك الفترة كانت مجرد ذريعة للتدخل ويسط نفوذه عليها .



تافراجين الشديد على تحقيق طموحه فى السلطة مهما كانت النتائج، كما يثير فى نفس الوقت الشك حول وجود نوع من التحالف السرى بينه وبين المرينيين، ضد أسياده الحفصيين ، لا سيما إذا ما شعر بوجود تهديد لنفوذه وسلطاته المطلقة فى الدولة (١) .

وكيفما كان الامر فقد زحف السلطان أبو الحسن المرينى بجيش ضخم الى افريقية مصطحباً معه ابن تافراجين ، كما انضم اليه العرب الكعوب ، وتمكن الجيش المرينى من الاستيلاء على الحاضرة تونس فى ٨ جمادى الآخرة سنة ٧٤٨هـ/سبتمبر ١٣٤٧م بعد فرار السلطان أبى حفص ، الذى لم يلبث ان قبض عليه وقُتل ، ودخل السلطان أبو الحسن قسبة تونس وطاف بقصور الحفصيين بها، ومعه حليفه ومحرضه ابن تافراجين . وبذلك خضعت افريقية لبني مرين، وأعلن أمراء الولايات بها طاعتهم للسلطان أبى الحسن المرينى (٢) .

#### د - إفريقية تحت الحكم المرينى وموقف ابن تافراجين :

عقب استقرار الأمور للسلطان أبى الحسن المرينى بافريقية، وضع اضطلاعه بنفسه بتدبير شئون دولته هناك ، فرغم اسناده الوزارة لابن تافراجين الا انه لم

(١) انظر العبر ، ج ٦، ص ٣٥٧ - ٣٥٨، ج ٧، ص ٢٧٨ - ٢٧٠؛ ابن الشماع ، نفسه ، ص ٩٤ - ٩٥؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٨٢؛ السراج ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٧؛ ابن أبى دينار ، نفسه ص ١٤٥ - ١٤٦؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٢٦ - ١٢٧؛ محمد الهادى العامرى ، نفسه ، ص ٩٥ ، ٩٧ - ٩٨ ، برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٧ ؛

Terrasse, Historic du Maroc , 59, Ency., of Islam, art., Tunis, Vol, IV, London, 1913, p. 852 & Vives, op.cit, p. 139.

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٦٠ ، ابن الشماع ، نفسه ، ص ٩٧ ؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٨٤؛ السلاوى، نفسه، ج ٤ ، ص ١٦٠ - ١٦١ ؛ المطرى ، نفسه ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩؛ برنشفيك، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٠.

يمنحه نفوذه السابق، ولم يفوضه فى أمور الدولة لأنه كان قائماً على أمره، وليس التفويض للوزراء من. شأنه، مما أثار سخط ابن تافراجين، الذى كان يظن أن السلطان أبا الحسن سيكل إليه أمر افريقية، وقيل انه عاهده على ذلك، ولهذا بدأ يتحين الفرصة للوثوب على السلطان المرينى وطرده من افريقية (١).

وفى تلك الأثناء كان العرب أيضا قد نقموا على السلطان أبى الحسن المرينى لاساءته السيرة فيهم بمنعهم من الأعطيات وانتزاع ما بأيديهم من اقطاعات، وبسبب إغاثه ضريبة أو إتاوة الخفارة التى كان يفرضها العرب على المسافرين وسكان المناطق الصحراوية نظير حمايتهم، ولذا خرجوا عن طاعته وثاروا عليه، وبائعوا شخصا مغموراً من أعقاب الخلفاء الموحيدين يدعى أحمد بن أبى دبوس، وأخذوا يغيرون على ضواحي الحاضرة تونس، وقاموا بأعمال السلب والتخريب، مما أدى الى محاربة السلطان أبى الحسن لهم ولكنهم تمكنوا من الانتصار عليه، وحاصروه بالقيروان - التى فر إليها - حصارا شديدا فى المحرم سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م (٢).

وهكذا أصبحت الظروف مواتية أمام ابن تافراجين للانتقام من السلطان أبى الحسن المرينى، واسترداد نفوذه الواسع الذى اعتاده منذ عهد السلطان أبى بكر الحفصى، حيث طلب العرب من أبى الحسن المرينى - المحاصر بالقيروان - ان يبعث اليهم وزيره ابن تافراجين - الذى يحظى بحب معظم العرب لاغداقه عليهم

(١) العبر، ج ٦، ص ٣٦: ابن الشماخ، نفسه، ص ٩٧: الزركشى، نفسه، ص ٨٤: السلاوى، نفسه، ج ٤، ص ١٦ - ١٦١: المطوى، نفسه، ص ٣٨٨ - ٣٨٩: برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ٢٠٠.

(٢) النباهى المالى، تاريخ قضاة الأندلس، طبعة بيروت ١٩٨٣، ص ١٦١: العبر، ج ٦، ص ٣٥٦ - ٣٦٠، يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ص ٢٣٥: ابن الشماخ، نفسه، ص ٩٦: الزركشى، نفسه، ص ٨٣ - ٨٤: السلاوى، نفسه، ج ٤، ص ١٥٩ - ١٦٠: المطوى، نفسه، ص ٣٩١ - ٣٩٥: جوليان، نفسه، ج ٢، ص ١٨٤ - ١٨٥: برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ١٩٩: Terrasse, op cit, p 59.

الارزاق والأعطيات أثناء حجابته للحفصيين - وذلك لمفاوضته في الصلح، ووافق السلطان المريني، وأرسل اليهم ابن تافراجين، الذي سرعان ما أعلن الثورة ضد أبي الحسن المريني، وتحالف مع الاعراب وقلدوه حجابة سلطاتهم ابن أبي دبوس، ثم زحفوا بقيادة ابن تافراجين نحو الحاضرة تونس، واستولوا عليها وحاصروا قصبته، وقذفوها بالمنجنيق، غير أنهم لم يتمكنوا من اقتحامهم لمنعتها وحصانتها وقوة الحامية المرينية المدافعة عنها، في الوقت الذي كان فيه السلطان أبو الحسن المريني قد داخل بعض العرب المحاصرين له بالقيروان في فك الحصار عنه مقابل بعض الأموال، وتمكن بذلك من العودة إلى تونس بحرراً (١).

وما أن علم الحاجب ابن تافراجين بذلك حتى تسلل خفية عن أتباعه العرب، وركب إحدى السفن إلى الاسكندرية في ربيع الثامن سنة ٧٤٩هـ/١٣٧٨م، مما أدى إلى انسحاب العرب من تونس واستتباب الأمور فيها للسلطان أبي الحسن المريني مرة أخرى (٢).

ومن الثابت أن الحاجب ابن تافراجين نزل الاسكندرية في بداية عهد الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر (سلطنته الأولى من ٧٤٩ - ٧٥٢هـ) وكان والي الاسكندرية - آنذاك - على الأرجح هو سيف الدين يكتمر بن عبد الله المؤمني (ولايته الأولى غير محددة، وقد عزل في سنة ٧٥١هـ/١٣٥١م) (٣).

(١) العبرة، ج ٥، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

(٢) انظر "ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٣٦١، ج ٧، ص ٢٧٥ - ٢٧٦؛ ابن الشماع، نفسه، ص ٩٧ - ٩٨؛ الزركشي، نفسه، ص ٨٤ - ٨٥؛ برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ١٩٩ - ٢٠٠؛ Terrasse, op.cit., p. 59.

(٣) انظر المقرئ، السلوك ج ٢، ق ٣، تحقيق محمد مصطفى زياده، ط ١، القاهرة سنة ١٩٥٨، ص ٧٤٥ وما بعدها؛ ابن حجر الدرر الكامنة، نشر دار الجيل ببيروت، بدون تاريخ ج ١، ص ٤٨٨.

وتذكر الرواية أن السلطان أبى الحسن المريني بعث عقب عودته الى تونس برسالة الي الناصر حسن سلطان مصر فى ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م - يلتمس منه فيها القبض على ابن تافراجين الذى نزل بالاسكندرية <sup>(١)</sup>، واقام بها بعض الوقت فى جوار اصدقائه من الأمراء الماليك <sup>(٢)</sup>، إلا أن مطلب السلطان المريني لم يحظ بالاستجابة ، فى الوقت الذى اتجه فيه ابن تافراجين إلى مكة لأداء فريضة الحج <sup>(٣)</sup> .

(١) يذكر ابن بطوطة انه عند التقائه بالسلطان أبى الحسن المريني بتونس سأل عن ابن تافراجين فأخبره بتعرضه للادى من جانب الجالية المغربية المقيمة بالاسكندرية، التى حاولت قتله انتصارا للسلطان أبى الحسن . (رحلة ابن بطوطة ، تحقيق طلال حرب ، بيروت سنة ١٩٨٧، ص ٦٦٥). ولا شك أن رواية ابن بطوطة يغلب عليها المبالغة ومحاولة التزلف للسلطان ، لأن ابن تافراجين كان يتمتع بحماية بعض أصدقائه من الأمراء الماليك بالاسكندرية. ومن جهة أخرى يبدو أن ابن تافراجين كان حريصا على تأمين موقفه أثناء فترة حجابته للسلطان الحفصيين، ولذا أقام علاقة صداقة مع أمراء الماليك بالاسكندرية ، كى يلجأ اليهم ، عند الحاجة ، ولا يستبعد أن يكون قد اكتسب صداقتهم عن طريق ارسال الهدايا الثمينة لهم من حين لآخر .

(٢) يذكر ابن خلدون (العبر ، طبعة بيروت ، ج ٦ ، ص ٣٦٤) أن ابن تافراجين لما نزل بالاسكندرية بعث السلطان أبو الحسن المريني الى ملوك مصر فى التحكيم فيه ، فأجازه الأمير المستبد على الدولة يومئذ ويدعى «سقاروس» ، ولا شك ان هذا الاسم فيه تصحيف من الناسخ، وصحته ببيغاروس أو أرس . وهو بيبغا بن عبدالله القاسمى الناصرى، ولقبه سيف الدين ، كان من جملة أمراء الناصر محمد بن قلاوون ، ولّى نيابة السلطنة بالديار المصرية بعد وفاة الملك الناصر مدة ، ثم نقل الى نيابة حلب سنة ٧٥٢ ، ثم قتل فى سنة ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م - ١٣٥٣م إثر خروجه على الطاعة، راجع عنه (ابن تفرى بردى ، المنهل الصافى ، ج ٣ ، تحقيق نبيل عبدالعزيز، القاهرة سنة ١٩٨٥ ، ص ٤٨٦ - ٤٨٨).

(٣) أنظر ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٣٦٤؛ السراج، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٧٥؛ السلاوي، نفسه ، ج ٤ ، ص ١٦٢؛ حسن حسنى ، عبدالوهاب ، نفسه ، ص ١٤١ ، محمد المنوفي ، علاقات المغرب بالمشرق ايام السلطان أبى الحسن المريني ، ضمن كتاب وركات عن الحضارة المغربية فى عصر بنى مرين ، الرباط ، سنة ١٩٧٩ ، ص ١٧٩ ، والحقيقة اننا لا نستبعد ان يكون رجيل ابن تافراجين عن مصر الى مكة لاداء فريضة الحج قد تم بالاتفاق مع الماليك حتى لا يتسبب فى حرج لهم مع أبى الحسن المريني سلطان المغرب الذى تربطهم به علاقات ودية .

هـ - ابن تافراجين ودوره فى عزل الفضل الحفصى وتولية السلطان أبى اسحاق :  
فى تلك الفترة (٧٤٩هـ / ١٣٤٨ - ١٣٤٩م) ساءت الاحوال بافريقية،  
حيث بدأ الأمير ابو العباس الفضل بن أبى بكر الحفصى صاحب بونة (عناية)  
يسعى لاسترداد ملك أبيه فى افريقية، وانضم اليه أمراء الولايات بها والكثير  
من العرب، وبايعوه ، وحاصروا المرينيين بتونس دون جدوى، فى الوقت الذى علم  
فيه السلطان ابو الحسن المرينى باستيلاء ابنه ابى عنان فارس على الحكم فى  
المغرب، مما جعله يسارع بمغادرة تونس متجهاً الى المغرب الاقصى فى أوائل شوال  
٧٥٠هـ / ١٣٤٩ - ١٣٥٠م، بعد ان عقد لابنه أبى الفضل على تونس ، ولكن لم  
تستتب له الأمور ، اذ ثار عليه أهل الحاضرة تونس فى نفس السنة، وبايعوا  
الأمير الفضل الحفصى - صاحب بونة - الذى حاصر تونس حصارا شديدا،  
واضطر الأمير أبو الفضل المرينى الى الاستسلام مقابل الامان ، وبذلك استرد  
السلطان الفضل الحفصى - لاذى تلقب بالمتوكل على الله - عرش أبيه وذلك فى  
أواخر ذى القعدة سنة ٧٥٠هـ / أوائل ٢٥٠م (١) .

أما ابن تافراجين فبدأ يظهر على مسرح الحوادث بافريقية مرة أخرى عقب  
عودته من الحج بصحبة عمر بن حمزة زعيم أولاد أبى الليل (من العرب  
الکعوب) ، وكان قد التقى به فى مكة أثناء الحج وتعاهدا على العودة الى  
افريقية « والتظاهر على أميرها » ، وتمكن عمر بن حمزة من توحيد صفوف أولاد  
أبى الليل تحت قيادته واتفقوا جميعا على المكر بالسلطان الفضل الحفصى إذا لم  
يستجيب لمطلبهم فى السماح لابن تافراجين بدخول الحاضرة تونس ، وتقليده

(١) انظر : العبر ، ٦ ، ص ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ابن الشماخ ، نسه ، ص ٩٨ - ٩٩ ؛ الزركشى ، نفسه  
ص ٨٨ - ٨٩ ؛ السراج ، نفسه ، ملج ٢ ، ص ١٧٤ - ١٧٥ ، المطوى ، نفسه ، ص ٤١١ -  
٤١٢ ؛ برنشفيك ، نفسه ، ح ١ ، ص ٢١١١ .

الحجاجة بدلا من حاجبه أبى القاسم بن عتو ، غير ان السلطان الفضل رفض الاستجابة لهم ، مما دفعهم الى الغدر به فأوهموه بميلهم الى عقد الصلح خارج تونس ، وانخدع السلطان واجابهم الي ذلك ، وسرعان ما أحاطوا به وبحاشيته ، واعتقلوه ببيوتهم وأذنوا لابن تافراجين بدخول تونس ، وبسط سلطانه عليها فى ١١ جمادى الاولى سنة ٧٥١هـ / يوليو ١٣٥٠م ، وحينئذ أعلن الحاجب ابن تافراجين عزل الفضل الحفصى ، ومبايعة أحد أخوته وهو أبى اسحاق ابراهيم ابن أبى بكر الحفصى ، فأجلسه على كرسى الخلافة وبايعه الخاصة والعامة وكان لا يزال صبيا صغير السن ، ولذا أصبح فى كفالة حاجبه عبدالله بن تافراجين (١) .

#### و - الحاجب ابن تافراجين ودوره فى عهد السلطان أبى اسحاق :

عقب تولى السلطان أبى اسحاق ابراهيم (المستنصر بالله الثانى) الحكم سنة ٧٥١هـ / ١٣٤٠م ، تم التخلص من أخيه الفضل ، وقتله هو وحاجبه ابن عتو ، وقام الوزير الحاجب ابن تافراجين بتدبير دولة السلطان أبى اسحاق ، وتمهيد أمره ، وكان له فى ذلك باع طويل واستبد بالحكم دون السلطان ، وانتهى أمره إلى أن يسلم عليه بسلام الملوك ، وأصبح فى تلك الفترة الحاكم الفعلى . والسلطان غير المتوج للدولة الحفصية قرابة خمسة عشرة عاما ، وساعده على

---

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٦٤ : الأدلة البينة ، ص ١١١١ : ابن القنفذ ، الفارسية ، ص ١٧٤ : ابن الخطيب ، اللوحة البدرية فى الدولة النصرية ، طبعة لجنة إحياء التراث ، بيروت ، ط ٣ سنة ١٩٨٠ ، ص ١١٩ ، الزركشى ، نفسه ، ص ٩٠ ، السراج ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٧٥ : ابن أبى دينار ، نفسه ، ص ١٤٨ : القلقشندى ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١٢٧ ، محمد الهادى العامرى ، نفسه ، ص ١٠٦ - ١٠٧ : برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

ذلك ميل أهل الحاضرة تونس إليه ، لحسن سيرته فيهم ، وحرصه على بعث  
الطمأنينة في نفوسهم ونشره الأمن والاستقرار في ربوع البلاد (١) .  
ويمكن أن نتبين أهم معالم السياسة الداخلية للحاجب ابن تافراجين  
والمشكلات التي واجهته في تلك الفترة فيما يلي :

#### أولا : موقفه من الأعراب :

أشارت المصادر إلى نجاح الحاجب ابن تافراجين الملموس في حل مشكلة  
الأعراب المزمنة ، والتي طلت قائمة في معظم فترات العصر الحفصى ، وتتمثل  
في عدم خضوعهم تماما لسلطة الدولة في أغلب الأحيان ، وقيامهم بأعمال السلب  
والنهب والتحرير في بلدان إفريقية ، فيذكر ابن خلدون أن عرب بنى كعب  
(الكعوب) دخلوا في الطاعة ، ويضيف ابن الشماخ أن ابن تافراجين استخلص  
قواعد البلاد من أيدي العرب بأحسن محاولة ، بعد أن تعهد لهم بأن يوفى لهم  
حاجتهم كل عام من مجابى تلك البلدان الخاضعة لنفوذهم . وبذلك أعاد  
للحفصيين سلطانهم على بلاد قرطاجة والقيروان وسوسة وباجة وتبرسق (٢)  
والأريس (١) وأسند حكمها لأعوانه والمخلصين له من الولاة (٢) .

---

(١) ابن الحاج التميمي ، فيض العباب ، تحقيق محمد بن شقرون ، الرباط عام ١٩٨٤ ، ص ١٥٤ ؛  
ابن الشماخ ، الأدلة البينة ، ص ١٠٢ ؛ ابن القنفذ ، نفسه ، ص ١٧٤ ؛ الزركشى ، نفسه ، ص  
٩٢ ؛ ابن أبي دينار ، نفسه ص ١٤٩ ؛ المطوى نفسه ، ص ٤١٦ ؛ برنشتيك ، نفسه ، ج ١ ، ص  
٢٠٢ ؛

Terrasse, Hist, du Marco, p. 59.

(٢) تبرسق : تقع في الصحراء الفاصلة بين المغربين الأدنى والأوسط إلى الجنوب الغربى من الحاضرة  
تونس ، انظر " (ابن القنفذ ، القارسية ، ص ١٩١) .

## ثانيا : ابن تافراجين والولايات الجنوبية :

فيما يتعلق بالولايات الجنوبية بإفريقية ، قام الحاجب ابن تافراجين عقب مبايعة السلطان أبى اسحاق بالحاضرة تونس ، بمخاطبة العمال بأخذ البيعة له على من قبلهم ، فبعثوا بها ، وأعلن ابن يملول<sup>(١٣)</sup> والى نوزر ، وابن العابد<sup>(١٤)</sup> صاحب قفصة وبنو الخلف<sup>(١٥)</sup> أصحاب نفطة الدخول فى الطاعة ، وبعثوا بالجبانة

(١) الأريس : تقع بالصحراء الجنوبية للمغرب الاوسط ، ويذكر الادريسي ان من مدينة الأريس الى باجة مرحلتان ، ويصفها بأنها فى وطاء من الأرض ، عليها سور تراب جيد ، وفى وسطها عين ماء جارية لا تجف ، وشرب أهلها من ماء تلك العين ، وتشتهر بمزارع الحنطة والشعير (الادريسي ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، طعة ليدن ، ١٨٩٤ ، ص ١١٧)

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٢٦٤ ، ابن الشماخ ، نفسه ، ص ٢ ، السراج ، نفسه ج ٢ ، ١٧٦

(٣) هو يحيى بن احمد بن محمد بن يملول ، ونسبهم فى طوابع العرب من تنوخ ، ويذكر ابن خلدون ان بنى يملول استقروا يتورق قاعدة بلاد الجريد (جنوبى افريقية) منذ اول الفتح الاسلامى . «وتأثروا ووشجت بها عروقهم نسبا وصهرا حتى انتظموا فى بونيات الشورى المقدمين للوفادة على الملوك وتلقى العمال القادمين من دار الخلافة. وعندما انقسمت الدولة الحفصية بين الثغور الغربية ، والحاضرة تونس وما إليها ، استبد بنو يملول بحكم نوزر إلى أن تمكن السلطان أبو بكر الحفصى من اخضاعهم واعادتهم الى الطاعة (العبر ، ج ٦ ، ص ٤١٢ ، الرركشى ، تاريخ الدولتين ، ص ٥٦) .

(٤) هو يحيى بن محمد بن على بن العباد الشريدى ، كان أسلافه أصحاب قفصة ، من سواتها المعروفة ، ونسبهم فى بلى ، ولهم حلف فى الشريد من بطون سى سليم ، قد استغلوا ضعف الدولة الحفصية واستقلوا بحكم قفصة الى أن أخضعهم السلطان أبو بكر الحفصى فى سنة ٧٣٥هـ . انظر : (العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٤١٤)

(٥) بنو الخلف : من مدافع ، وسبهم فى عسان من طوابع العرب . انتقل حدهم من بعض قرى نفزاوة إلى نفطة ، واستقر بها ، وأصبح لبنيه بها بيت مشهور ، ويذكر ابن خلدون ان اماره يعطه خلال عهد السلطان ابى بكر وبنيه . كانت تحت حكم بنى مدافع المعروفين ايضا ببنى الخلف وكانوا أخوة أربعة هم . مدافع وأبو بكر وعبدالله ومحمد ، وتمكنوا من الاستبداد برياستها زمن الشورى فى فترة انشغال الدولة الحفصية عنهم الى أن تمكن السلطان ابو بكر الحفصى من اخضاعهم ، والقضاء على معظم زعمائهم (العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥١ ، ٤١٥)



والهدية، أما ابن مكى<sup>(١)</sup> صاحب قابس وجريه فقد اعلن التمرد والعصيان ، وسخط على الحاجب ابن تافراجين لاستبداده بالسلطان ومنعه من التصرف فى أمور دولته ، ولوجود منافسة قديمة بينهما منذ عهد السلطان أبى بكر ، ولذا كان ابن مكى ينتهر كل فرصة لاقضاء ابن تافراجين عن الحجابة والقضاء على نفوذه فى الدولة الحفصية، غير انه لم ينجح فى تحقيق هدفه<sup>(٢)</sup> .

### ثالثا : سياسته نحو امارة قسطنطينة

كانت امارة قسطنطينة تحت حكم الامير أبى زيد عبدالرحمن بن محمد بن أبى بكر الحفصى (ابن اخى السلطان أبى اسحاق) ، الذى كان يطمع فى بسط نفوذه على تونس وتمكن من. انزال الهزيمة بجيش ابن تافراجين عند بلاد هواره فى سنة ٧٥٢هـ / ١٣٥١ - ١٣٥٢م ، ولكنه لم يواصل زحفه الى تونس وقفل بجيشه عائدا الى قسطنطينة<sup>(٣)</sup> .

وفى سنة ٧٥٣هـ / ١٥٢ - ١٥٣م عاود الأمير أبو زيد الكرة مرة أخرى وشجعه على ذلك تحريض أحمد بن مكى - العدو اللدود لابن تافراجين - الذى

(١) هو أبو العباس احمد بن مكى من. شيوخ قابس ، وأميرها الذى استبد بحكمها عند ضعف وانقسام الدولة الحفصية، وينتسب بنو مكى الى قبيلة لواتة البربرية، وجدهم الأعلى هو مكى بن فرح بن زيادة الله اللواتى ، وكان بنو مكى هؤلاء من المقربين للامير أبى زكريا بن عبدالواحد الحفصى - مؤسس الدولة الحفصية - ولما اعتزم الامير ابو زكريا الاستقلال بحكم افريقية دخل أبو القاسم عثمان بن مكى فى طاعته وأخذ له البيعة من أهل قابس ، فكان له ولقومه بذلك ، مكانة من السلطان أبى زكريا وخلفائه. انظر : (الهير ، ج ٦ ، ص ٤٢ - ٤٢١).

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ : الزركشى ، نفسه ، ص ٩٢ : عبدالعزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، نشر مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ٧٩٢ : برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٣ - ٢ .

(٣) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٦٥ : الزركشى ، نفسه ، ص ٩٣ : الطوى ، نفسه ، ص ٤١٧ : برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٥ - ٢ .

وفد على الأمير أبى زيد بقسنطينة بصحبة حلفائه العرب من أولاد مهلهل وحشه على الزحف نحو افريقية واسترداد ملك آبائه من. الحاجب ابن تافراجين الذى استبد به واحتازه دونهم ، وبالفعل انقاد الأمير أبو زيد لتحريض حليفه ابن مكى وزحفا الى تونس فى سنة ٧٥٣هـ ، وما ان علم ابن تافراجين بذلك حتى جهز السلطان أبى إسحاق بما يحتاج اليه من الجند والعدة ، وعهد بقيادة الجيش لابنه محمد بن عبدالله بن تافراجين ، والتقى الجمعان فى موقعة مرماجة (١) ، وفيها هُزم جيش السلطان أبى إسحاق ، وولى الأذبار ، وتحصن بالعاصمة تونس التى حاصرها ابو زيد عدة أيام ، ولكنها امتنعت عليه ، فاضطر للعودة الى بلده قسنطينة، خاصة وأنه أحسن بخطر يهدد ولايته ، وذلك من ناحية الأمير أبى عبدالله محمد الحفصى (صاحب بجاية وابن أخى السلطان أبى إسحاق) ، وكذلك السلطان أبى عنان المرينى صاحب المغرب الأقصى ، اللذين زحفا نحو قسنطينة للاستيلاء عليها بإيعاز من الحاجب ابن تافراجين وبذلك فشل التحالف بين أبى زيد الحفصى (صاحب قسنطينة) وابن مكى (صاحب قابس وجريه) فى القضاء على ابن تافراجين (٢) .

#### رابعاً: موقفه من الحملة المرينية الثانية على افريقية :

بعد أن خلع السلطان أبو عنان فارس أباه أبى الحسن المرينى واستولى على

---

(١) مرماجة إحدى مدن بلاد هوارة بصحراء المغرب الاوسط على مقربة من الاريس ، يصفها صاحب كتاب الاستصار بأنها مدينة قديمة أزلية فيها اثار كثيرة للأول ، واشتهرت بوفرة الخيرات ومزارع القمح والشعير ، انظر . (مجهول ، الاستصار ، فى عجائب الامصار ، ص ١٦٢ الإدريسى نفسه ، ص ١١٨)

(٢) العصر ، ج ٦ ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا منشورات دار الكتاب المصرى واللبنانى ، ١٩٧٩ ، ص ٥٧ - ٥٨ الزركشى ، نفسه ص ٤١٧ ٤١٩ ؛ برشفك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٥ - ٢٦

حكم المغرب الاقصى فى سنة ٧٥٢هـ / ١٣٥١م ، قرر مد سلطانه الى المغربين الأوسط والأدنى والقيام بغزوة كبرى لبلاد المغرب مثلما حدث فى عهد والده وبالفعل نجح ابو عنان المرينى فى الاستيلاء على تلمسان من أيدي بنى زيان <sup>(١)</sup> ، ثم زحف الى قسنطينة <sup>(٢)</sup> ، وتمكن من اخضاعها إثر استسلام أميرها ابي العباس احمد الحفصى فى سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٧م ، وعقب ذلك بعث السلطان أبو عنان الى الحاجب ابن تافراجين يدعوه للدخول فى طاعته والتنازل عن تونس ، ورفض ابن تافراجين الاستجابة لمطلب السلطان المرينى ، لأنه يدرك أن خضوعه للمرينيين سيؤدى - حتما - إلى ضياع نفوذه القوي الذى يتمتع به كحاجب للسلطان أبى اسحاق الحفصى ، خاصة وأن تجربته الأولى معهم - فى عهد السلطان أبى الحسن - أثبتت ان سلاطين بنى مرين يميلون الى تولى امور دولتهم بانفسهم ولا يفوضون ذلك لوزرائهم أو حجابهم ، مما يتعارض مع سياسة وطموح الحاجب ابن تافراجين <sup>(٣)</sup> .

- 
- (١) انظر ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٣٦٦ ، الزركشى ، نفسه ، ص ٩٣ - ٩٤ ؛ برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .
- (٢) كانت إمارة قسنطينة تحت حكم أبى زيد عبدالرحمن بن محمد بن أبى بكر الحفصى ، كما سبقت الإشارة - ثم غلبه على حكمها اخوه ابو العباس احمد الذى بويع بها فى سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٥ - ١٣٥٦م واضطر أبو زيد للاستقرار فى بونة (عناية) لفترة قصيرة ، غير أنه لم يركن للإقامة بها ، فراسل الحاجب ابن تافراجين فى السماح له بسكنى تونس مقابل التنازل عن بونة لعمه السلطان أبى اسحاق ، فأجابه الى طلبه ، انظر التفاصيل فى (ابن القنفذ ، نفسه ، ص ١٨١ ؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٥٩ - ٦٩٦ ؛ برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦) .
- (٣) انظر ابن الحاج ، فيض العباب ، تحقيق محمد بن شقرون ، ص ١٠٦ وما يليها ؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٩٦ - ٩٧ ؛ ابن ابى دينار نفسه ، ص ١٤٩ ؛ المطوى ، نفسه ، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ ، وحديث بالملاحظة ان العلاقة بين السلطان أبى عنان المرينى والحاجب ابن تافراجين قد ساءت بسبب رفض ابنه لاسلطان أبى بكر الحفصى الزواج من السلطان المرينى ، ووقوف الحاجب موقفا سلبيا من ذلك ، انظر . (ابن القنفذ ، نفسه ، ص ١٧٤) .

وعلى هذا أرسل السلطان أبو عنان جيشا بریا وأسطولا بحريا لمنازلة الحاضرة تونس في شعبان سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٧م، ونصدي لهم ابن تافراجين بقواته <sup>(١)</sup>، ولكنه أدرك عدم جدوى الاستمرار في المقاومة، خصوصا عندما بلغه تأهب السلطان أبي عنان للزحف من قسنطينة الى تونس، ولذا أسرع بالفرار مع بعض أعوانه وخدمه إلى المهديّة، وتحصن بها، كما لحق به السلطان أبو اسحاق الحفصي، الذي هرب مع حلفائه أولاد أبي الليل الى بلاد الجريد، مما مكن القوات المرينية من دخول تونس، وتمت البيعة هناك للسلطان أبي عنان المريني وخطب له على جميع منابر إفريقية عدا المهديّة وسوسة وتوزر <sup>(٢)</sup>.

وفي الوقت الذي اعتزم فيه السلطان أبو عنان التوجه الى تونس حدث غرد في جيشه وأسرع جنده بالانسحاب والعودة الى المغرب الأقصى، ولم يلبث ان لحق بهم أبو عنان مما أدى الى حدوث اضطراب في صفوف المرينيين بتونس، وساعد على ذلك ايضا ثورة الاهالي ضدهم مما جعلهم يسارعون بمغادره الحاضرة تونس في سفنهم متجهين الى المغرب الاقصى. وبذلك اتاحت لابن تافراجين

---

(١) اشارت بعض الروايات إلى أن الحاجب ابن تافراجين تمكن من إنزال هزيمة شنيعة بالاسطول المريني الذي وصل تونس قبيل الجيش البري، (ابن الشماخ - نفسه، ص ٣، السراج، نفسه، مجلد ٢، ص ١٧٦؛ ابن أبي دينار، نفسه، ص ١٤٩) ولكن تلك الروايات تنسم بالمبالغة والصواب ما أثبتناه بالمتن - نقلا عن ابن خلدون المعاصر لتلك الحوادث - وهو ان ابن تافراجين تصدى للاسطول المريني، وصمد في المقاومة يوما أو بعض يوم، ثم تغير الوضع به وصول الجيش البري المريني، حيث أدرك ابن تافراجين انه لن يتمكن من مواصلة المقاومة بسبب شدة الحصار حول تونس، ووصل أنباء تفيد بقرب وصول السلطان أبي عنان بعسكره الى تونس، ولذا فرر الهرب الى المهديّة، والتحصن بها، ريثما تتحسن الأحوال لمصلحته ويتمكن من العودة الى تونس لاسترداد نفوذه، انظر: (العبر، ج ٦٥، ص ٣٧؛ الزركشي، نفسه، ٩٧).

(٢) ابن الحاج، فيض العباب، ص ١٧٣ - ١٧٤، العبر، ج ٦، ص ٣٧، ابن الشماخ، نفسه، ص ١٣ - ١٠٤؛ ابن القنفذ، نفسه، ص ١٧٥؛ الزركشي، نفسه، ص ٩٧، عبدالعزير سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ص ٧٩٢؛ المطوي، نفسه، ص ٤٢٩، برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ٢٧ - ٢٨.

الفرصة بالعودة الى تونس مرة أخرى (١). وجدت البيعة للسلطان أبى اسحاق الحفصى الذى دخل حاضرتة فى اوائل ذى الحجة ٧٥٨هـ / ١٣٥٧م ، وهكذا فشلت الحملة المرينية الثانية على افريقية واستمر الحاجب ابن تافراجين يتمتع بسلطاته المطلقة فى الدولة الحفصية (٢) .

#### خامسا : سياسته نحو امارة بجاية :

كانت بجاية من الامارات المهمة فى الجزء الغربى من الدولة الحفصية ، فهى الشجر الغربى لتلك الدولة خلال عصر الازدهار والقوة ، ولكنها خضعت فى تلك الفترة للمرينيين ، الذين اسندوا حكمها لأحد عمالهم وهو يحيى بن ميمون ، الذى كان مكروها من أهل بجاية لشدته وتعسفه ولذا أخذوا يتحينون الفرصة للتخلص من الحكم المرينى ، فاستنجدوا بابن تافراجين بعد انسحاب الجيش المرينى من تونس وعودته الى المغرب الأقصى (٣) .

---

(١) حدير بالإشارة هنا أن الحاجب ابن تافراجين بعد أن غادر المهدية وعاد الى تونس عقب انسحاب المرينيين ، استعمل السلطان أبو اسحاق الحفصى على مدينة المهدية أخاه الأمير ابا يحيى زكريا الحفصى ، وبعث على حجابته احمد بن خلف من أعوان ابن تافراجين - مستهدا عليه ، ولم يلبث الامر زكريا الحفصى أن ضجر من استبداد حاجبه عليه ، فقتله ، وتحالف مع احمد بن مكى صاحب قايس ، وأسدعاه ليتولى الحجابة له ، فوصل اليه وأعلن مبايعة السلطان أبى عنان المرينى . مما دفع ابن تافراجين الى ارسال جيشه الى المهدية ، وانتهى الأمر بفرار الأمير أبى يحيى زكريا وحاجبه ابن مكى الى قايس واسترداد ابن تافراجين للمهدية ، انظر : (الزركشى ، نفسه ، ص ٩٨ - ٩٩)

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٢ : ابن الشماخ ، نفسه ، ص ٤ ، السراج ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٧٦ ، محمد الهادى العامرى ، نفسه ، ص ١١ ، برشفنك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٩ .

(٣) انظر . العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٣ : الزركشى ، نفسه ، ص ٩٩ ، نفسه ، ص ٩٩ ، المطوى ، نفسه ، ص ٤٣٨ : برشفنك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢١

وتمهد الطريق بذلك أمام ابن تافراجين لبيسط نفوذه على بجاية واستعادة بعض الاجزاء الغربية التي كانت خاضعة للحفصيين فيما مضى ، وأرسل إليها ابن تافراجين جيشاً قويا على رأسه السلطان أبى اسحاق ، وعندما اقترب الجيش الحفصى من مدينة بجاية ثار أهلها على من بها من المرينيين ، وتم اعتقال ابن ميمون - عامل المرينيين بها - وارساله إلى تونس ودخل السلطان أبو اسحاق بجاية في سنة ٧٦١ هـ / ١٣٦٠ م، واستبد بها وتولى شئونها بنفسه ، ومكث هناك خمس سنوات كان حاجبه ابن تافراجين يده خلالها من تونس بما يحتاج إليه ، وظل أبو اسحاق ببجاية حتى دخلها عليه صلحا الأمير أبو عبدالله محمد بن أبى زكريا بن زبى بكر الحفصى (ابن أخيه) الذى سمح له بالعودة إلى حاضرتة تونس في سنة ٧٦٥ هـ / ١٣٦٥ م (١) .

#### سادسا : ابن تافراجين واسترداده جزيرة جربة :

كانت جزيرة جربة خاضعة لنفوذ أحمد بن مكى (قابس وطرابلس) وظلت هكذا ، حتى سنة ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ م حيث نqm أهلها على ابن مكى سيرته فيهم ، ويعشوا بذلك سرا الي ابن تافراجين بتونس ، الذى انتهزها فرصة للانتقام من عدوه ابن مكى (٢) فأرسل إلى جربه جيشاً بقيادة ابنه محمد بن تافراجين الذى تمكن من النزول بجربه وحاصر قلعتها حصاراً شديداً ، نتج عنه اقتحامها عنوة ، واستولى بذلك على جزيرة جربة ، وأقام بها دعوة السلطان أبى اسحاق الحفصى ،

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٣ ؛ ابن القنفذ ، نفسه ، ص ١٧٦ ؛ الزكشي ، نفسه ، ص ٩٩ ؛ السراج نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٧٧ ؛ المطرى ، نفسه ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ ، ٤٤٥ - ٤٤٦ ؛ برنشفيك ، نفسه ج ١ ، ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٢) أوضح ابن خلدون أن أحمد بن مكى استقر بطرابلس وجعلها دارا لامارته منذ ملكها من ايدى النصرى الجنوبية نظير مبلغ من المال ، وذلك في شعبان سنة ٤٥٦ هـ / ١٣٥٥ م ، انظر التفاصيل في : (ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ ؛ برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٤) .

ثم غادرها الى تونس بعد أن ترك محمد بن أبى العيون واليا عليها (١).

س اسهامات ابن تافراجين الحضارية :

اولا : دوره فى بطور خطة الحجابة فى الدولة الحفصية :

أوضح ابن خلدون - المعاصر لتلك الفترة - أن السلاطين الحفصيين احتاجوا بعد اتساع دولتهم وكثرة الخدم والحاشية والمرتزين بقصرهم الى قهرمان خاص بالقصر السلطاني ، يهتم بالنظر فى أحواله ، ويجريه على قدره وترتيبه وما يحتاج اليه من رزق وكسوة وعطاء ونفقة وغير ذلك ، واطلقوا عليه اسم «الحاجب» واستمر الحال على هذا النحو الى ان أصبح السلطان الحفصى يحجب نفسه عن الناس ، فتطورت خطة الحجابة حينئذ ، وأصبحت واسطة بين السلطان وبين أهل الرتب كلهم ، ثم جاء الحاجب ابن تافراجين فى عهد السلطان أبى بكر الحفصى (٧١٨ - ٧٤٧هـ) وطور تلك الخطة حيث صار له الرأى والمشورة وتدير شؤون الدولة ، ولم يكتف الحاجب الطموح بذلك بل تطلع الى الانفراد بالنفوذ واستنحوذ على سلطتى السيف والقلم فى عهد السلطان أبى حفص عمر بن أبى بكر الحفصى ، ثم فى عهد أخيه أبى اسحاق ابراهيم الذى شهد استبداد الحاجب ابن تافراجين بالسلطان الحفصى ، وبلغت خطة الحجابة - آنذاك - أوج الازدهار وذروة النفوذ وأصبح الحاجب هو الوزير الاول فى الدولة ، ويسلم عليه بسلام الملوك (١) ، وهو ما يشبهه وزير التفويض فى الشرق الاسلامى فى العصر

---

(١) العير ، ٦ ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ ، الزركشى ، نفسه ، ص ١٠١ ، محمد أبو راس الجربى ، مؤنس الأحبه فى أخبار جربة ، طبعة تونس ، ١٩٦٠ ؛ ص ٣ ، ١ ، هـ ، المطوى ، نفسه ، ص ٤٦٦ ؛ برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢١١ . حول علاقة الحفصيين بجربة ، راجع التفاصيل فى : (رضوان البارودى ، جزيرة جربة التونسية ، نشر دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٠م ، ص ٣٢ ما يليه .

## العباسى الاول .

ويتضح لنا مما سبق أن الحاجب بن تافراجين أحدث تطويراً مهماً فى خطة الحجابة واخصاصاتها وجعل منها أرفع خطط الدولة الحفصية على الاطلاق فى تلك الفترة، كما أعاد فى نفس الوقت لشيوخ الموحدين هيبته ومكانتهم المرسومة فى الدولة ، وساهم بشكل ملموس فى الحفاظ على التقاليد والمراسم السلطانية (٢) .

ومن جهة أخرى يلاحظ أن ابن تافراجين حمل العديد من الألقاب أثناء فترة حجابته ، والتي تدل على تدرجه فى المناصب وكذلك مدى قوة نفوذه ، ومن ذلك صاحب السفارة ، وشيخ الموحدين ، والوزير ، والحاجب والمؤمن المكين ، وشيخ الحضرة. كما وصف فى الوثائق والمعاهدات بأنه «مصلح الأحوال بعد اختلالها، ومنجج الآمال بعد اعتلالها ...» (٣) .

---

(١) انظر : ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، تحقيق على عبدالواحد وافي ، ط ٣ ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٨١ ؛ ص ٦٧٢ - ٦٧٣ ؛ العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٥ ؛ الأدلة البينة ، ص ١٠٢ ، محتار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ ، ص ١٩٣ - ١٩٥ ؛ برنشفيك ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٧ ، ٤٢ .

(٢) برنشفيك ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥١ ، ٣٥ ، ٦٥ .

(٣) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ؛ الأدلة البينة ، ص ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٢ ؛ الفارسية ، ص ١٧٤ ، تاريخ الدولتين ، ص ٦٨ ، ٧٧ ؛ الوشريسى ، المعيار ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ .

Aman, Diplomi arabi, pp 98 - 99 & Alarcon Y Linares, los documentos arabes diplomaticos, Madrid, 1940, pp 311 - 312.

وجدير بالاشارة هنا أن شيوخ الموحدين الذين ينتمى اليهم الحاجب ابن تافراجين كانوا يتمتعون بشرا ، واسع وحياة رغدة ، وكانت لهم اقطاعات ورواتب توزع عليهم اربع مرات فى السنة ، علاوة على الغلة التى يفرقها عليهم السلطان عند تحصيل الغلات فى المخارن ، وغير ذلك من الأعطيات والارزاق. راجع التفاصيل فى : (ابن فضل الله العمرى ، وصف إفريقيا والمغرب والاندلس من كتاب مسالك الابصار ، نشر حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ، بدون تاريخ ، ص ١٨ - ١٩ ؛ القلقشندي ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١٣٦ - ١٣٧) .



ثانيا : ميوله الادبية والشعرية ورعايته للعلم والعلماء :

أمدنا الونشريسي بإشارة قيمة توضح الميول الادبية والشعرية للحاجب ابن تافراين ، فيذكر ان الحاجب بعث الى ابن عرفة شيخ الفقهاء بالحاضرة تونس بمدحه بأبيات ، ومن ذلك قوله :

يا دوحة الأدب المصور فى العلا منك استطبنا الطعم والشموما  
أورت زنادك فى العلوم فأصبحت تهدى إليك نفائسا وعلوما (١)

كذلك هناك بالمصادر ما يفيد بوجود رياض (بستان) للحاجب ابن تافراين على مقربة من قصبة تونس ، كان يتخذها للراحة وعقد مجالس الأنس مع أصحابه من شيوخ الموحدين وغيرهم من العلماء والأدباء ، ولا نستبعد انهم فى تلك المجالس كانوا يتناطرون فى الأدب والشعر والفقه والعلوم الشرعية الاخرى خاصة ، أن شيوخ الموحدين كانوا فى المقام الاول من العلماء البارزين فى العلوم الدينية (٢) .

ومن ناحية أخرى قام الحاجب ابن تافراين بدور مهم فى الاهتمام بالعلم وتشجيع طلابه ، عن طريق الأوقاف العديدة التى أوقفها على مدرسته بتونس والتى كانت مقصداً للطلاب والعلماء على السواء (٣) .

(١) انظر المعيار العرب ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ .

(٢) ابن الشماخ ، نفسه ، ص ٩٢ ، ١٠٢ .

(٣) الونشريسي ، المعيار العرب ، ج ٦ ، ص ٩٨ : الرصاع ، فهرست الرصاع ، تحقيق محمد العنابى ، تونس ، بدون تاريخ ، ص ١٩٩ .

### ثالثا : اعماله العمرانية :

قام الحاجب ابن تافراجين بالعديد من الأعمال العمرانية . ومن ذلك قيامه فى عهد السلطان أبى اسحاق ببناء السور البرانى (الخارجى) المحيط بأرباض الحاضرة تونس ، وحبس عليه العديد من الاوقاف لترميمه وتحسينه كلما دعت الحاجة الى ذلك <sup>(١)</sup> . كما قام بتشيد مدرسه حملت اسمه هى «المدرسة التافراجينية» <sup>(٢)</sup> ، علاوة على السبيل الذى اقامه بتونس والمعروف بسبيل ابن تافراجين ، وقام بحبس حمام على المدرسة والسبيل وخصص عانده ، لصيانتها ودفع رواتب من يعمل بهما <sup>(٣)</sup> .

ولم تقتصر أعماله العمرانية على تونس بل شملت ايضا مدينة المهدية وكانت من الثغور الشرقية للدولة الحفصية وملجأ للحاجب ابن تافراجين وقت الشدة. عندما تحقق به الأخطار بتونس ، ولذا اهتم بتحسينها وتجديد أسوارها وحصونها وشحنها بالأقوات والعتاد <sup>(٤)</sup> .

### ص الحاجب ابن تافراجين وعلاقاته الخارجية (الدبلوماسية).

اقام ابن تافراجين أثناء حجابته للسلطان أبى اسحاق واستبداده بالملك العديد من العلاقات الخارجية وتتمثل فيما يلى .

- 
- (١) ابن الشماخ ، الأدلة البينة، ص ٢ ١: ابن أبى دينار، المؤسس، ص ١٤٩، برشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٣٧٢
  - (٢) توجد بقايا تلك المدرسة على مقربة من ضريح الشيخ ابراهيم الرياحى بتونس ، وكان بها قبره الذى اندثر الآن (الرصاص ، فهرست الرصاص ، ج ٦ ، ص ٢٠ هـ ٢)
  - (٣) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٧ ، المنشريسى ، نفسه ، ج ٦ ، ص ٩٨ .
  - (٤) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٢ ؛ برشفيك ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٤٠

أولاً : علاقته مع جمهوريغ بيزا :

أبرم الحاجب ابن تافراجين - باسم السلطان أبى اسحاق الحفصى ، معاهدة صلح وسلام مع نيريرجلين Neri Porcellino سفير جمهورية بيزا الايطالية، وذلك فى ١١ ربيع الآخر سنة ١٦/٧٥٤ مايو ١٣٥٣م.

ومما نصت عليه : أن يكون جميع من يصل من التجار البيزيين (البيشانيين) وأتباعهم الى الحضرة العلية (تونس) والى جميع بلادها الداخلة تحت طاعتها آمنين فى أنفسهم وأموالهم ، وعلى ألا يصل الى بلادهم الساحلية ولا إلى جزرهم جفن حربى لضرر من الحضرة تونس مدة هذا الصلح . وأن يكون للتجار البيزيين فى كل بلد من البلاد الافريقية الساحلية المعروفة بنزولهم فيها للتجارة فندق يختصون به لتجارتهم ، ولا يشاركهم فى سكناه غيرهم، ويمكنوا فى كل فندق من الكنيسة التى فيه ، ومن مدفن لموتاهم ومن فرن يختصون به، وأن لهم دخول حمام يختصون به يوماً فى الجمعة ، وأن يؤخذ منهم العشر فيما يبيعونه من السلع وأن يحكم قناصلهم فيما ينشب بينهم من منازعات وألا يشتروا ممن يقطع على المسلمين شيئاً من سلع المسلمين أو من أسراهم ، وألا يضروا بأحد من أهل البلاد الافريقية أو من أعمالها ، وإذ حدث ضرر بأحد منهم فعلى حاكمهم وقناصلهم الانصاف من ذلك والقبض على الجانى (١) .

ثانياً - علاقته مع مملكة أرغون (أراجون Argon)

كذلك عقد ابن تافراجين باسم السلطان أبى اسحاق - معاهدة صلح وسلام لمدة عشر سنوات مع الفارس فرنسيس سكوسطه (Frances Sacosta) سفير

(١) راجع التفاصيل فى :

Amari, op. cit, pp. 98 - 111 & Mas Latrie, traites de paix et du commerce, Paris, 1886, pp. 56 - 65.

بدر الرابع (Pedro IV El Ceremonioso) ملك أراجون فى ٢٥ صفر سنة ٧٦١هـ/ ١٥ يناير ١٣٦٠م .

ومن نصوصها المهمة : أن يكون الصلح شاملا لبلاد الحضرة تونس أو البلاد التابعة لها برأ وبحرا وأن كل مسلم يسافر من الحاضرة تونس أو من البلاد التابعة الخروج من بلاده إلى بلاد الحضرة (تونس) «بسبب القطع فى جفن من الأجفان ...» كما منحت تلك المعاهدة للأراجونيين حق مهاجمة السفن القشتالية فى سواحل افريقية وميناء تونس ، واحتجاز من فهيا من أشخاص وأمتعة وعلاوة على ذلك التزم السلطان الحفصى بمقتضى تلك المعاهدة ولمدة عشر سنوات ، بدفع ضريبة سنوية لملك أراجون قدرها ألفا دينار من الذهب ، كما نصت المعاهدة على بناء فنادق للتجار الأراجونيين ويكون لهم قناصلهم بتونس وسائر بلادها التى تحت طاعتها ، وألا يؤسر أحد من الحاضرة تونس أو من أعمالها ببلاد ملك أراجون من المسلمين أو اليهود بعد عقد هذا الصلح (١١) .

وهناك رسالة بعث بها الحاجب ابن تافراجين الى بدر الرابع ملك أراجون فى ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٧٦١هـ/ مارس ١٣٦٠ يخبره فيها بنقض أحد رعاياه الميورقيين للصلح ، بقيامه (فى نفس السنة) بأعمال القرصنة فى المياه التونسية ومهاجمته لسفن فى ميناء كل من تونس وسوسة ونهيه ما فيها من

(١١) انظر برنشتيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

Marcon Y Gracia de Inares, Los documentos arabes Diplomaticos del archivo de la corono de Aragon, Madrid, 1940, pp 311 - 314, Isidro de las cagigas, un traite de Parx, Hesperis, 1934, pp 65 - 77, Cronica de la corona de Aragon, publicado por conde de castellano, zaragoza, 1919, p 272, Aguado Bleye, Manual de historia de Espana, Madrid pp 811 - 820 & Vives, op cit pp 142 - 144

بضائع وأمتعة وعدة ، رغم اخباره بمعاهدة الصلح والسلام المبرمة بين الطرفين ، وطلب الحاجب من الملك بدرو معاقبته ورد ما سلبه المعتدى من مال و سلع ، ورغم تلك الحادثة الا انها لم تعكر صفو العلاقات الودية بين الدولة الحفصية ومملكة أراجون (١) .

ومن جهة أخرى نلاحظ ذبوع صيت ابن تافراجين فى بلاط ملك أراجون، فتذكر وثائق أرشيف تاج أراجون أن الملك بدرو الرابع كان يوصى مبعوثيه الى الحاضرة تونس دائماً بالحرص على مقابلة الحاجب ابن تافراجين ، ويطلب منه بدوره الاعتناء بسفرائه ومساعدتهم فى القضايا التى جاؤوا لبحثها مع السلطان الحفصي (٢) .

### ثالثا : علاقته مع بنى الاحمر ملوك غرناطة :

أشارت المصادر العربية الى وجود علاقة صداقة ومودة بين الحاجب ابن تافراجين والسلطان محمد الخامس الغنى بالله بن الاحمر صاحب مملكة غرناطة ، فيذكر ابن الخطيب ان الغنى بالله سلطان غرناطة بعث برسالة ودية الى الحاجب ابن تافراجين فى سنة ٧٦٣هـ / ١٣٦٢م يخبره فيها بالحوادث التى وقعت آنذاك - بمملكة غرناطة وخاصة الانقلاب الذى تزعمه محمد بن اسماعيل بن نصر احد أقرائه - ثم تمكنه من العودة الى الحكم ، واستقراره على عرش مملكة غرناطة، كما دعا الحاجب فى رسالته بالعمل على استمرار العلاقات الطيبة الوطيدة التى

(١) برنشفيك ، نفسه ، ص ٢١٣ :

Alarcon Y Linares, op cit, pp 324 - 325

Vives, op.cit , pp. 133 - 134.

(٢)

تربط بين الدولة الحفصية ومملكة غرناطة منذ القديم (١).

#### هـ وفاة ابن تافراجين ودور أسرته في الدولة الحفصية .

توفي الحاجب عبدالله بن تافراجين بسبب الطاعون في ربيع الاول سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م (٢)، وكان قبيل وفاته مباشرة قد ارتبط بالسلطان ابي اسحاق الحفصي برباط المصاهرة حيث تزوج السلطان من ابنة الحاجب في صفر سنة ٧٦٦هـ « واحتفل لذلك غاية الاحتفال » (٣) .

وعقب وفاة الحاجب ابن تافراجين استقل السلطان ابو اسحاق ابراهيم بأمور دولته ، وياشرها بنفسه وكان « كمحجور أطلق يده وصيه » ، وفي تلك الاثناء كان القائد محمد بن عبدالله بن تافراجين غائبا عن تونس على رأس العسكر يقوم بالحماية عندما بلغه نبأ وفاة والده فأوجس خيفة وصرف الجند الى تونس

---

(١) راجع نص الرسالة في : ابن الخطيب ، ربحانة الكتاب ، مجلد ١ ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٥٠١ - ٥٠٧ : المرقى نفع الطيب ، ج ٩ ، تحقيق يوسف البقاعي ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٥٨ - ٦٣ ، انظر أيضا محمد الهادي العامري ، تاريخ المغرب العربي ، ص ١١٢ ، برشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٣ ؛

Gaspar Remiro, Correspondencia diplomática entre Granada Y Fez, 1910, pp 343 - 347 & Mujtar Al-Abbadi, El Reino de Granada en La época de Muhammed V, Madrid, 1973, p. 116.

(٢) دفن الحاجب عبدالله بن تافراجين في مدرسته الواقعة بقنطرة ابن ساكن داخل باب السويقة بتونس وحضر دفنه السلطان ابو اسحاق ، انظر : (الزركشي ، نفسه ، ص ١٠١) ، السراج ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٧٧ .

(٣) ابن الشماخ ، نفسه ، ص ١٠٥ ؛ الزركشي ، نفسه ، ص ١٠١ ، السراج ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٧٧ ؛ ابن ابي دينار ، نفسه ، ص ١٥٠ .

وأخذ يعرض نفسه على حواضر إفريقية - مثل المهديّة وجريه وغيرهما - والتي كان يظن أنها على طاعته ، إلا أنه لم يلق القبول ، وصده ولاتها ، ثم بعث اليه السلطان أبو اسحاق بطمئنته ويستميله ، وأعطاه الأمان مما أدى الى سرعة عودته الي الحاضرة تونس فتلّقه السلطان بالترحاب والاكرام وقلده حجابته خلفا لوالده (١).

ولم تلبث العلاقات ان ساءت بين السلطان أبي إسحاق وحاجبه محمد بن تافراجين لانكاره مباشرة السلطان للناس ورفع له للحجاب ولما ألفه من الاستبداد والنفوذ منذ عهد أبيه ، فأظلم الجو بينه وبين السلطان ، ومما ساعد على ذلك أيضا تدخل الوشاة والمنافسين للحاجب محمد بن تافراجين في البلاط الحفصيّ ، ونتج عن ذلك فرار الحاجب ابن تافراجين الى قسنطينة حيث استقر عند السلطان - أبي العباس احمد بن محمد بن أبي بكر الحفصيّ ، وأخذ يحرضه على غزو تونس ويرغبه في ذلك ، موضحا سهولة الاستيلاء عليها . وقد رحب السلطان أبو العباس به ، ووعدّه بالنهوض معه الى افريقية عقب فراغه من حربه ضد ابن عمه الأمير أبي عبدالله الحفصيّ صاحب بجاية (١) .

وعقب انتهاء السلطان أبي العباس صاحب قسنطينة من فتح بجاية في شعبان سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥ - ١٣٦٦م . أرسل إلى تونس جيشا بقيادة أخيه أبي يحيى زكريا (صاحب بونة) وبصحبتة محمد بن تافراجين ونازلها الجيش عدة أيام ، ولكنها امتنعت عليه ، واضطروا الى فك الحصار والانسحاب بعد عقد السلم والمهادنة مع السلطان أبي اسحاق

---

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٨ : الفارسية ، ص ١٧٦ : الزركشي ، نفسه ، ص ١٠١ - ١٠٢ - برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٨ : ابن الشماخ ، نفسه ، ص ١٠٦ : الزركشي ، نفسه ، ص ١٠٢ ، المطري ، نفسه ، ص ٤٧٠ .

ولحق ابن تافراجين بالسلطان أبى العباس أحمد بقسنطينة (١) .

وفى سنة ٧٧٠هـ/١٣٩٦م توفى أبو اسحاق سلطان تونس ، وخلفه ابنه ابو البقاد خالد الثانى الذى كان قليل الخبرة بأمور الحكم ، ولذا خرجت عن طاعته العديد من الولايات . وأرسل أمراء العرب ببلاد قسطنطينية (جنوبى افريقية) الى السلطان أبى العباس (صاحب قسنطينة وبجاية) يستحثونه لبسط سلطانه على تونس ، فرحب بذلك ، وبعث اليهم فى البداية بالقائد محمد بن عبد الله بن تافراجين لأخذ بيعتهم ، فدخل فى الطاعة بحىي بن يملول صاحب توزر والخلف بن الخلف صاحب نفطة، وأصبح الطريق بذلك ممهداً أمامه لغزو تونس وإفريقية (٢) .

وفى سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م تمكن السلطان أبو العباس أحمد الحفصى من الاستيلاء على تونس واعتقال صاحبها أبى البقاء خالد بن أبى اسحاق الحفصى، وارساله فى سفينة إلى إحدى مدن ساحل المغرب الأوسط ، تمهيداً لنقله الى قسنطينة ، غير انه غرق فى البحر . وعقب استقرار السلطان أبى العباس بالحاضرة تونس قلد خطة الحجابة لأخيه الأمير أبى يحيى زكريا ، وجعل القائد محمد بن تافراجين رديفاً له مكافأة على خدماته (٣) .

ولم تلبث العلاقات ان تدهورت بشكل خطير بين السلطان ابى العباس وحاجبه محمد بن تافراجين بعد أن نفى إلى علمه عن طريق الوشاة ان ابن تافراجين اتفق سراً مع العرب فى الخروج عليه ومهاجمة الحاضرة تونس (٤) . وعلى هذا أمر السلطان بالقبض على الحاجب ابن تافراجين ، وارساله إلى قسنطينة، وظل

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٨١ ، الزركشى ، نفسه ، ص ١٠٣ ، المطوى ، نفسه ، ص ٤٧١

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٨٢ - ٣٨٣ ، الزركشى ، نفسه ، ص ١٠٥

(٣) الأدلة البية ، ص ١١ ، برشميك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٨ - ٢١٩

(٤) فى الحقيقة اما لا تستبعد صحة الوشائيات التى أبلغت للسلطان أبى العباس صد حاجبه ابن تافراجين خاصة وأن هذا الحاجب كان بطمع مثل والده فى السلطة والانفراد بالنفوذ فى الدولة، ولكنه لم يجد السبيل الى ذلك نظراً لحزم السلطان أبى العباس وقوة بأسه =



معتقلا بها إلى أن توفي في سنة ١٣٧٨هـ / ١٣٧٦م - ١٣٧٧م) (١) .

وبعد نكبة الحاجب محمد بن تافراجين ظهرت في البلاط الحفصي بتونس شخصية أخرى تنتسب إلى تلك الأسرة ونعني بذلك : الشيخ أبو عبدالله بن أبي العباس أحمد بن تافراجين (ابن أخى الحاجب الشهير عبدالله بن تافراجين) ، الذي حل مكان ابن عمه في بلاط السلطان أبي العباس الحفصى . فيذكر ابن القنفذ - المعاصر له - ان السلطان أبا العباس «رتب مجلسا جليلا ، واختص خواص في مجلسه يتسابقون إلى نصحه» ، ويضيف بأن الشيخ أبا عبدالله بن تافراجين كان يقرر في ذلك المجلس أصول المسائل السلطانية» ويذكر العادة فيما التبس منها إذا سئل عنها بعقل وافر .... » (٢) .

وفي عهد السلطان أبي فارس عبدالعزيز بن أبي العباس الحفصى (٧٩٦ - ٨٣٧هـ / ١٣٩٤ - ١٤٣٤م) استمر بنو تافراجين في خدمة الدولة الحفصية ، فيفيد ابن القنفذ بأن السلطان أبا فارس عقب استيلائه على قسنطينة في رمضان سنة ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م عين عليها مولاه القائد نبيل ، وجعل على قصبتها الشيخ أبا الفضل أبا القاسم بن أبي عبدالله بن أبي العباس أحمد بن تافراجين ، الذي لازم الفصبة وحسنت سيرته في أهل قسنطينة ، فحظى بمحبتهم لتدينه وعدله ، ولكنه لم يستمر بها طويلا إذ لم يلبث أن بعثه السلطان أبو فارس في سنة ٨٣٧هـ / ١٣٩٧ - ١٣٩٨م رسولا إلى بجاية (١) ، ثم عاد عقب ذلك إلى تونس .

=== وتوليه تدبير أمور دولته بنفسه ، مما يصعب على الحاجب تحقيق طموحه الشخصى ، خصوصا وأنه لم يكن في مثل هيبة ودها ، والده الذى كان يمتاز ببعد النظر والخبرة بأمور السياسة والحكم ، انظر : (ابن الشماخ ، نفسه ، ص ١١٠ : المؤنس ، ص ١٥١ : المطوى ، نفسه ، ص ٤٨٦ - ٤٨٨) .

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٨٣ - ٣٨٤ : ابن الشماخ ، نفسه ، ص ١١٠ ، السراج ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٨ : برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) الفارسية ، ص ١٧٧ .

واستقر بها فى خدمة السلطان أبى فارس (٢).

ووفاة الشيخ أبى القاسم بن تافراجين - على الأرجح فى أواخر عهد السلطان أبى فارس - ينتهى دور تلك الاسرة التافراجينية الشهيرة، التى لعبت دوراً مهماً وخطيراً فى تاريخ الدولة الحصرية خاصة خلال القرن ٨هـ / ١٤م .

---

(١) كانت إمارة بجاية فى تلك الفترة تحت حكم القائد ظافر ثم عزله السلطان أبو فارس ، وولى عليها أخاه الأمير ركريا (صاحب بونة) ثم استولى عليها الأمير أبو عبدالله محمد بن أبى سحبي ركريا (ابن عم السلطان أبى فارس) الذى عقد عليها لابنه محمد المنصور، غير أن السلطان أبى فارس تمكن من استردادها وولى عليها ابن أخيه الأمير أبى العباس أحمد بن أبى عبدالله الحمصى . انظر . (الزركشى ، نفسه ، ص ١٢٤ ، برشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٤٣)

(٢) الفارسية ، ص ١٩٤ ، الزركشى ، نفسه ، ص ١١٩ ؛ مبارك الميلى ، تاريخ الجزائر ، ج ٢ ، نشر مكتبة النهضة الجزائرية ، ١٣٥٠هـ ، ص ٣١٥ ؛ المطوى ، نفسه ، ص ٥٥٩ ؛ برشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .

## ثبت بأسماء ما وصل إلينا من أفراد اسرة بنى تافراجين من خلال المصادر العربية

- ١ - أبو حفص عمر بن تافراجين (جد بنى تافراجين ) ت سنة ٥٤٩ هـ .
- ٢ - عبدالله بن عمر بن تافراجين (كان حيا سنة ٥٨٠ هـ) .
- ٣ - عمر بن عبدالله بن تافراجين (كان حيا سنة ٥٩١ هـ)
- ٤ - عبدالعزيز بن تافراجين (كان حيا سنة ٦٢٦ هـ)
- ٥ - عبدالحق بن تافراجين (كان حيا سنة ٩٨١ هـ)
- ٦ - أبو العباس أحمد بن عبدالعزيز بن تافراجين (ت سنة ٧٠٣ هـ)
- ٧ - محمد بن عبدالعزيز تافراجين
- ٨ - عمر بن عبدالعزيز بن تافراجين - عاشا فى أواخر السابع وأوائل الثامن الهجرى
- ٩ - أبو العباس احمد بن احمد بن عبدالعزيز بن تافراجين (ت ٧٤٧ هـ).
- ١٠ - أبو محمد عبدالله بن أحمد بن عبدالعزيز بن تافراجين (ت ٧٦٦ هـ) .
- ١١ - محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالعزيز بن تافراجين (ت سنة ٧٧٨ هـ)
- ١٢ - أبو عبدالله بن أبى العباس أحمد بن تافراجين (كان حيا سنة ٧٩٦ هـ) .
- ١٣ - أبو الفضل أبو القاسم بن أبى عبدالله بن أبى العباس أحمد بن تافراجين  
(عاش فى أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع الهجرى) .

### مصادر ومراجع البحث

أولا : المصادر العربية القديمة :

- ١ - ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار افريقية وتونس ، تحقيق محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، ص ٣ ، تونس ، ١٣٨٧هـ.
- ٢ - الإدريسى : صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والاندلس ، من كتاب نزهة المشتاق، طبعة ليدن سنة ١٨٩٤م.
- ٣ - ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الامصار، تحقيق طلال حرب، بيروت سنة ١٩٨٧.
- ٤ - البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ .
- ٥ - البيلق : أخبار المهدي بن تومرت ، طبعة باريس ، نشر ليفى بروفنسال سنة ١٩٢٨ ، طبعة عبد الحميد جاجيات ، الجزائر سنة ١٩٧٤ .
- ٦ - ابن تغزى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، ج ٣ ، تحقيق د. نبيل عبدالعزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٨٥ .
- ٧ - التجانى : رحلة التجانى ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ١٩٥٨ .
- ٨ - ابن الحاج النميرى : فيض العباب وافاضة قداح الآداب فى الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، تحقيق محمد بن شقرون ، الرباط سنة ١٩٨٤ .
- ٩ - ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ج ١ ، طبعة دار الجبل . بيروت ، بدون تاريخ
- ١٠ - الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس . بيروت ، ط ٢ ، ص . سنة ١٩٨٤ .

- ١١ - ابن الخطيب : ربحانه الكتاب ونجعة المنتاب ، تحقيق عبدالله عنان ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- ١٢ - ابن الخطيب : اللوحة البدرية فى الدولة النصرية ، طبعة لجنة احياء التراث بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٠ م .
- ١٣ - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا منشورات دار الكتاب اللبنانى المصرى ، ١٩٨٩ م .
- ١٤ - ابن خلدون : العبر وديوان المتبدأ والخبر ، طبعة بيروت ، ١٩٧٩ م .
- ١٥ - ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق على عبدالواحد وافي ، نشر دار نهضة مصر ، ط ٣ ، سنة ١٩٨١ م .
- ١٦ - الرصاع : فهرست الرصاع ، تحقيق محمد العنانى ، نشر ، المكتبة العتيقة، تونس ، بدون تاريخ .
- ١٧ - الزركشى : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور المكتبة العتيقة، تونس ، ١٩٦٦ .
- ١٨ - السراج الأندلسى : الحلل السندسية فى الأخبار التونسية، تحقيق الحبيب الهيلة ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ١٩٨٤ .
- ١٩ - السلاوى الناصرى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى، الدار البيضاء ١٩٥٤ .
- ٢٠ - ابن الشماخ : الأدلة البينة النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق الطاهر المعمورى ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ١٩٨٤ .
- ٢١ - ابن فضل الله العمرى : وصف افريقية والمغرب والاندلس من كتاب مسالك الابصار ، تحقيق حسن حسنى عبدالوهاب ، مطبعة النهضة، تونس ، بدون تاريخ .

- ٢٢ - القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشاء ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧ .
- ٢٣ - ابن القنفذ : الفارسية فى مباديء الدولة الحفصية ، تحقيق محمد النيفر وعبدالمجيد التركى ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٦٨ .
- ٢٤ - محمد أبو راس الجربى : مؤنس الأحبة فى أخبار جربه ، طبعة تونس ، ١٩٦٠ .
- ٢٥ - المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، نشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- ٢٦ - المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، تحقيق د. محمد مصطفى زيادة ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- ٢٧ - المقرئى : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق يوسف البقاعى ، بيروت ، ١٩٨٩ .
- ٢٨ - مؤلف مجهول : الاسنبصار فى عجائب الامصار ، تحقيق سعد رغلول عبدالحميد ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ .
- ٢٩ - النباهى المالقى : تاريخ قضاة الأندلس المعروف بالمرقبة العليا ، طبعة بيروت ، ١٩٨٣ .
- ٣٠ - الوئشريسى : المعصار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب ، نشر وزارة الاوقاف المغربية ١٩٨١ .
- ٣١ - يحيى بن خلدون : بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبدالواد ، تحقيق عبدالحمد حاجبات ، الجزائر ، ١٩٨٨ م .

## ثانيا: المراجع العربية الحديثة والمعربة :

- ١ - أحمد مختار العبادي (دكتور) : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، الطبعة الاولى ، الاسكندرية ، ١٩٦٨م.
- ٢ - برنشفيك : تاريخ افريقية في العهد الحفصي ، ترجمة حمادى الساحلى ، نشر دار المغرب الاسلامى ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- ٣ - جورج مارسيه : بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الاسلامى ، ترجمة محمود هيكل ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٩١ .
- ٤ - جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ، ج ٢ ، تعريب محمد مزالى والبشير بن سلامة ، تونس ، ١٩٧٨ .
- ٥ - حسن حسنى عبدالوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٦ .
- ٦ - السيد عبدالعزيز سالم (دكتور) : تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، نشر مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية ، بدون تاريخ .
- ٧ - رضوان البارودى (دكتور) : جزيرة جربة التونسية، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٠ .
- ٨ - روجى لى تورنو : حركة الموحدين فى المغرب ، ترجمة امين الطيبي ، الدر العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ١٩٨٢ .
- ٩ - عبدالعزيز بنعبد الله (دكتور) : الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية (معلمة المدن والقبائل) ، مطبوعات وزارة الاوقاف المغربية، ١٩٧٧ .
- ١ - عبدالوهاب بن منصور : قبائل المغرب ، ج ١ ، المطبعة المكية ، الرباط ، ١٩٦٨ .

- ١١ - عز الدين موسى (دكتور) : دراسات فى تاريخ المغرب الاسلامى ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- ١٢ - مبارك الميلى : تاريخ الجزائر ، ج ٢ ، نشر مكتبة النهضة ، الجزائر ، ١٣٥٠ .
- ١٣ - محمد المنونى (دكتور) : علاقات المغرب بالشرق ايام السلطان ابنى الحسن، بحث بكتاب ورقات عن الحضارة المغربية فى عصر بنى مرين ، الرباط ، ١٩٧٩ .
- ١٤ - محمد العروسي المطوى : السلطنة الحفصية ، نشر دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، ١٩٧٦ .
- ١٥ - محمد الهادى العامرى : تاريخ المغرب العربى ، نشر الشركة التونسية ، تونس ، ١٩٧٤ .
- ١٦ - هويكنز : النظم الاسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى ، ترجمه أمين الطيبي ، نشر الدار العربية للكتاب ، ليبيا -- تونس ، ١٩٧٧ .



بالسالم المراجع الأجنبية :

1. Agudo Bleye: Manual de historia de España t I  
Madrid. 1947.
- 2 . Ahmad Muhtar Al - Abbadi . El reino de Granada en  
la epoca de Muhammad V. Madrid 1973
3. Alarcon Y Gracia de linares: Los documentos arabes  
diplomaticos de archivo del la corona de Aragon, Madrid. 1940.
4. Alfred Bel. Les Benau Ghanya. paris 1903
5. Amari: Diplomi arabi dell archivio Fiorentio. Firenze.  
1863.
6. Cronica de la corona de Aragon Y Granada. Barcelo  
nam 19098.
7. Encyclopedia of Islam. Art. Tunis Vol. IV. London  
1913.
8. Gaspar Remiro: Correspondencia diplomatica entre  
Granada Y Fez en El siglo XIV. Granada.  
1910.
9. Gimenez Soler: La Corona de Aragon. barchelona.  
1908.
10. Isidro delas Cagigas: Un traite de paix entre le roi  
pirre IV de Aragon et le Sulatan de Tunes.  
Hesperis. XIX. 1934.

- 11 Josefa Mutge Vives. Algunas noticias sobre la relaciones entre la corona catalano-aragonesa Y el reino de Tunez. en Actas del cologuro, Madrid. 1988.
- 12 Mas Fatme. Traites de paix et du commerce concernant les relations des chertiens avec les arabes de l'Afrique Septentrionale au moyen-age, paris 1886.
- 13 Terrasse. Histoire du Maroc., Casablanca.

## البحث الثاني تاريخ مدينة طرطوسة الإسلامية وحضارتها في عصر دويلات الطوائف (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)

### مقدمة .

في الحقيقة أن المعلومات التي وصلتنا عن مدينة طرطوسة في العصر الإسلامي سواء كانت تتعلق بتاريخها السياسي أو بمظاهرها الحضارية شحيحة للغاية ، فلم يرد في المصادر الإسلامية أو الإسبانية عن طرطوسة الإسلامية سوى شذرات قليلة مبعثرة في بطون المصادر التاريخية والجغرافية وكتب التراجم والطبقات ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن طرطوسة كانت في العصر الإسلامي بلدا متوسط القدر ، ولم تكن من بن المدن الكبرى أو القواعد البارزة في الأندلس مثل قرطبة ، طليطلة وإشبيلية وسرقسطة وغرناطة وبلنسية ومرسية ، التي أسهت المصادر في الحدث عن تاريخها السياسي والحضاري ، ثم إنها لم يصطلح بدور سياسي هام في تاريخ الأندلس سوى في عصر دويلات الطوائف (القرن ٥هـ / ١١م) ، وإن كان هذا الدور يبدو أيضا محدودا جدا بالمقارنة بدور جبراتها من دويلات الطوائف الأخرى في شرق وشمال شرق الأندلس مثل سرقسطة ، بلنسية ومرسية وداسة

ومن الأسباب أيضا التي أدت إلى عدم اهتمام المؤرخين المسلمين بتلك المدينة موضوع البحث رغم موقعها الجغرافي والاستراتيجي المتميز قرب ساحل البحر المتوسط ، وفي مواجهة الممالك الإسبانية المسيحية في الشمال ، أن طرطوشه كانت طوال عصر الدولة الأموية مجرد ولاية أو مدينة ثغرية تابعة للحكومة المركزية بقرطبة ، وكانت تدخل إداريا في نطاق الشغل الأعلى وقاعدته مدينة سرقسطة ، التي سلطت عليها الأضواء في المصادر الأندلسية ، وحظيت

باهتمام المؤرخين المسلمين القدامى منهم والحديثين ، وكذلك الباحثين الإسبان الذين اهتموا بدراسة تاريخها الإسلامى الوسيط وتتبع مسارها الحضارى طينه العصر الاسلامى ، ومن جهة أخرى فإن دثور العمران الاسلامى وضياح كل أئ لمنشأتها فى العصر الإسلامى كان من أسباب اغفال الباحثين عن دراستها

وعلى هذا النحو انصرف الساحتون عن دراسة تاريخ طرطوشة فى العصر الإسلامى ، الأمر الذى دفعنى الى اختيارها بالذات موضوعا لهذا البحث أملا فى أن أسلط بعض الأضواء على دورها السياسى على الأخص فى عصر د. ثلاث الطوائف (القرن ٥هـ / ١١م) ، عندما اصبحت مقرا لحدى دويلات الطوائف ، ونعمت فى ظلها لأول مرة بالاستقلال عن الحكومة الأموية المركزية بقرطبة ، كما حرصت فى نفس الوقت على الاشارة إلى بعض مظاهر الحضارة الإسلامة فيها مثل العمران وعناصر المجتمع ومظاهر الحياة الاقتصادية ، والحركة العلمية والأدبية ، ولعلى بذلك الحت قد أسهمت اسهاما يسرا لسد ثغره فى تاريخ هذه المدينة الإسلامى بوجه خاص وتاريخ الأندلس بوجه عام .

(١)

## الخصائص الجغرافية لمدينة طرطوشة

نقع مدينة طرطوشة (بالاسبانية Tortosa) في شمال شرق الأندلس جنوبى طركسونة Tarragona ، وشمال بلنسية Valencia ، وجنوب شرقى سرقسطه Zaragoza / قاعدة الثغر الأعلى <sup>(١)</sup> ، موفية على الضفة الغربية لنهر إبره (Ebro) ، قرب ساحل البحر المتوسط ، وإن كان المصادر الجغرافية تعدها إحدى قواعد منطقة شرق الأندلس <sup>(٢)</sup> .

وطرطوشة من المدن القديمة في الأندلس ، فهي من بنيان الرومان ، وكان يطلق عليها في العصر الرومانى Dertosa Julia Augusta ، وامتازت في

---

(١) ابن حبان ، المقتبس (قطعة على بعهد الأمير عبدالرحمن الاوسط وابنه محمد) تحقيق محمود مكى ، طبعة بيروت سنة ١٩٨٣ ، ص ٤١٦ هـ ، ١٨ هـ ، محمد الفاسى ، الاعلام الجغرافية الاندلسية ، مجلة البيبة ، السنة الأولى ، عدد ٣ ، الرباط ، يوليو سنة ١٩٦٢ ، ج ٢٧ - ٢٨

Levi-Provençal, Encyclopedie de L'Islam, art . Tortosa, IV,  
Paris, 1934, p. 856

(٢) انظر الراوى ، وصف الأندلس ، شرفى بروفنسال فى :

Al-Andalus, Vol. XVIII, Madrid, 1953, p. 72.

ابن حبان ، قطعة من المقتبس (خاصة بعهد الامير عبدالله) ، تحقيق اسماعيل العربى ، المغرب سنة ١٩٩٠ ، ص ١٢٨ ، المراكشى ، المعجب فى بلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العربان ، القاهرة ، سنة ١٩٦٣ ، ص ٤٦١ ، ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ٢ ، تحقيق شومى ضيف ، طبعة دار المعارف ص ٤٢٣ ، مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق لويس مولينا ج ١ ، سنة ١٩٨٣ ، ص ٨٣ : القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ٥ ، تحقيق سبل الخطيب ، سروت سنة ١٩٨٧ ، ص ٢٢٥ .

العصرين الرومانى والاسلامى بأنها ذات حصانة طبيعية بوقوعها على سفح جبل يسمى الكمين <sup>(١)</sup> .

وتفيد المصادر العربية بأن طرطوشة كانت فى بدايه العصر الاسلامى مدينه من أعمال كورة (أى اقليم) البرتات الذى كان بضم من المدن أيضا طركونه ویرشلونه <sup>(٢)</sup> ، ومع انها وردت فى المصادر العربية على أنها مدينة إلا أنها كانت مع ذلك أقرب ما تكون إلى الكورة لاتساعها واشتمالها على حصون وقرى وبلدان تابعة لها ، فابن غالب يشير إلى أن لها حصون كثيرة وأقاليم واسعة، ويضيف ياقوت أن لها ولاية واسعة <sup>(٣)</sup> .

ويمتدح الجغرافيون المسلمون الموقع الجغرفى المتميز لمدينة طرطوشة القزوسى يذكر انها مدينة برية وبحرية ، بمعنى انها ذات خطة واسعة ويتبعها أراض زراعية تغذيها بالمؤن والمحاصيل ، وأن لها أيضا فرضة على البحر تصلح لرسو السفن ، مما يكسبها أهمية فى مجال التجارة البحرية <sup>(٤)</sup>

(١) الادريسى ، نزهة المشتاق ، مجلد ٢ ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٥٥٥ ، الحميرى ، الروض المعطار ، تحقيق احسان عباس ، ج ٢ ، بيروت سنة ١٩٨٤ ، ص ٣٩١ ، شكيب ارسلان ، الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الاندلسية ، ج ٣ ، القاهرة سنة ١٩٣٩ ، ص ٨ ، الفاسى ، نفسه ، ص ٢٧

(٢) الادريسى ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ٥٣٨ ، محمد الفاسى ، نفسه ، ص ٢٢ ، ٢٨

(٣) انظر . ابن عالى الأندلسى . قطعة من كتاب فرحة الأنفس . تحقيق لطفي عبدالدع مجله معهد المخطوطات العربية ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٥ ، ص ٢٨٦ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج ٤ ، طبعة دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٣ ، ابن عدارى ، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، ج ٣ ، شر ليفى بروفنسال وكولان ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٢٢٤ ، حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، نشر الدار السعودية ، جدة ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٥٦٥ ، ٥٧٦

(٤) الرارى ، وصف الاندلس ، شر ليفى بروفنسال فى . Al Andalus, p 72

القزوينى ، آثار البلاد وإخبار العباد ، طبعة بيروت سنة ١٩٧٩ ، ص ٥٤٤ ، حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمريد ، مجلد ٧ ، ٨ سنة ٥٩ ، ١٩٦٦ م ، ص ٢٦٣

وكان لوقوعها أيضا على الطريق الأعظم (Via Augusta) المعروف في المصادر العربية بالمحجة العظمى ، أعظم الأثر في ظهورها منذ قيام الدولة الأموية في الأندلس كقاعدة لغزاة البحر الأندلسيين الذين كانوا يشتغلون لحسابهم الخاص قبل أن تصطنع الدولة الأموية منذ الغارة النورماندية على سواحل الأندلس الجنوبية سياسة بحرية . ومن المعروف أن المحجة العظمى تبدأ من مدينة قادس (Cádiz) في جنوب غربي الأندلس ، وتمر بإشبيلية وقرطبة وسرقسطة وطرطوشة ثم بأربونة حاضرة إمارة سبتمانيا جنوبي بلاد غالة <sup>(١)</sup> .

---

(١) الراى ، نفسه ، نشر ليفى بروفنسال فى : Al-Andalus, p. 72

وانظر ايضا : عبدالعزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، ج ١ ، بيروت سنة ١٩٧١ ، ص ١٦٤ ، سحر سالم ، مدينة قادس ودورها فى التاريخ السياسى والحضارى للأندلس ، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية سنة ١٩٩٠ ، ص ١٣١ .

M J. Rubiera, La Tarla de Denta, Alicante, 1985, p 11

(٢)

## طرطوشة كثغر وقاعدة للاستطول الاندلسي في عصر الدولة الاموية

كانت طرطوشة <sup>(١)</sup> في عصر الدولة الاموية في الاندلس إحدى مدن الشجر الاعلى (ويطلق عليه أيضا الشجر الأقصى أو الشجر الشرقي) وقاعدته مدينة سرقسطة، وعرفت طرطوشة في كثير من المصادر الإسلامية بأنها قاصية الشجر الأعلى <sup>(٢)</sup> ، وقاصية أرض الاندلس الشرقية ومنقطع دعوة الإسلام بالاندلس <sup>(٣)</sup> .

ونظرا لأهمية موقعها الجغرافي وخطورتها في مواجهة الممالك الاسبانية

(١) لم تشر المصادر الإسلامية أو المسيحية إلى الفتح الإسلامي لمدينة طرطوشة ، ولكن يمكن أن نستنتج مما ذكره ابن عداري بأ فتح طرطوشة تم على الأرجح على يد موسى بن نصير في سنة ٧١٤ هـ / ٧١٤ م ، فتفيد الرواية الإسلامية وكذلك الاسبانية المسيحية بأن موسى عقب لقائه مع قائده طارق بن زياد عند طلبيلة تقدم إلى سرقسطة فافتتحها ، كما افتتح ما حولها من مدن وحصون ومن ناحية أخرى ألمحت إحدى الحوليات المسيحية إلى أن القائد موسى بن نصير هو الذي قام بفتح منطقة وادي إبرة التي تقع بها طرطوشة

انظر . (ابن عداري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، سحر كولان وليعى برونسال ، ج ٢ ، سروت سنة ١٩٨٠ م ، ص ١٦ ،

Matía J. Viguera, Aragón musulman, Zaragoza, 1981, pp. 27 - 29

(٢) ابن حبان ، المقتبس (قطعة خاصة بعهد الخليفة الناصر) ، ج ٥ ، تحقيق شالميتا وكورينطي ، مدريد ، ١٩٧٩ ، ص ١٩ - ١٩٨ ، ٢٥٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ج ٢ ، سحر لسفي برونسال ، بيروت سنة ١٩٥٦ ، ص ١٩٨ ،

M. J. Rubiera, La tarifa de Denia, p. 24

(٣) ابن حبان ، قطعة من المقتبس ، تحقيق اسماعيل العربي ، ص ٧٥ ، ١٢٨



المسيحية فى الشمال ، وقرب سواحلها النسبى من بلاد الفرنجة ، فقد كانت موضع اهتمام امراء بنى أمية وخلفائهم منذ عهد الامير عبدالرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية فى الاندلس ، فقد كان معظم ولاية طرطوشة ومدن. الشجر الأخرى خلال ذلك العصر من رجال الحرب أو أرباب السيف ، ممن يتميزون بالكفاية الحربية ، يؤكد ذلك ما ذكره ابن الأبار بأن تمام بن علقمة ولى طرطوشة ووشقه<sup>(١)</sup> وطرسونة<sup>(٢)</sup> ، فى عهد الامير عبدالرحمن الداخل ، وكان قبل ذلك يتولى الحجابة للامير وكان تمام هذا من موالى الأمويين المخلصين وأحد الذين ساعدوا الأمير عبدالرحمن فى تأسيس الدولة الأموية فى الأندلس ، كما أظهر براعة حربية فى القضاء على الفتن والثورات التى نشبت فى عهد الأمير عبدالرحمن الداخل<sup>(٣)</sup> .

كذلك تولى حكم تلك المنطقة الشجرية الامير عبدالله الملقب بالبلنسى ابن

---

(١) وشقة (بالاسبانية Huesca) : تقع فى منطقة شمال شرق الاندلس ، وكانت إحدى مدن الشجر الأعلى ، على مسافة تبعد نحو خمسين ميلا شرقى سرقسطة ، وكانت فى العصر الاسلامى مدينة حصينة متحضرة ومزدهرة اقتصاديا ، انظر (العدري ، نصوص من كتاب ترصيع الأخيار، تحقيق عبدالعزيز الأخوانى نشر المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بميدريد ، ١٩٦٥ ، ص ٥٥ ، الادريسى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٣٣ ، الحميرى ، الروض المعطار ، تحقيق احسان عباس ، ص ١٦١٢

(٢) طرسونة (بالاسبانية Tarragona) : إحدى مدن الشجر الأعلى ، وتقع الى الشمال من طرطوشة على مقربة من مدينة تطيلة ، وبينهما مسافة إثنا عشر ميلا ، وكانت طرسونة فى بداية عصر الدولة الاموية مستقر العمال والقواد بالشجر ، وعندما ازداد عمران تطيلة واتسعت وكثر اهلها صارت طرسونة من أعمالها انظر (البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبدالرحمن الحميرى ، بيروت سنة ١٩٦٨ ، ص ٩١ ؛ ابن غالب ، فرحة الأنفس، ص ٢٨٧ الحميرى نفسه ص ٣٨٩)

(٣) الحلة السيرا . ج ١ تحقيق حسين مؤنس القاهرة ، سنة ١٦٣ ، ص ١٤٣ ، ابن عدارى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٨

الامير عبدالرحمن الداخل ، فيذكر ابن حزم انه تولى بلنسية وتدمير وطرطوشة وبرجلونة ووشقة أى منطقة شرق وشمال شرق الاندلس ، بمعنى ان ولايته شملت ايضا قطاعا من منطقة الثغر الأعلى الاندلسى فى مواجهة مملكة نبرة Navarra الاسبانية المسيحية (١) .

وعقب وفاة الأمير عبدالرحمن الداخل فى سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م ، ونشوب الصراع بين ولديه هشام وسليمان حول إمارة الاندلس ، سادت الفتن والاضطرابات مدن الثغر الأعلى ومن بينها طرطوشة ، فتشير المصادر إلى أن سعيد بن الحسين ابن يحيى الأنصارى ثار بطرطوشة والثغر الأعلى واستولى على تلك المنطقة فى أوائل عهد الأمير هشام الرضا ، ثم اعقبه مطروح بن سليمان الأعرابى الذى تغلب على الثغر الأعلى فى سنة ١٧٢ هـ ، وبعد ذلك خضعت تلك المنطقة للثائر خلف ابن راشد الذى بسط نفوذه على الثغرين الأعلى والأوسط فى سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٣ م، واتصل ملكه سنوات عديدة (٢) .

وفى عهد الأمير الحكم الاول المعروف بالريضى بن هشام الرضا (١٨٠ - ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ - ٨٢٢ م) تعرض ثغر طرطوشة لهجمات الفرنجة ، وفى سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٩ ميلادية قام الفرنجة بقيادة لذريق بن قارله (أى لويس التقى بن شارلمان) Louis Le piex صاحب امارة اقطانية Aquitania بمهاجمة منطقة الثغر الأعلى وخص مدينة طرطوشة بهذا الهجوم فأقدم على حصارها وشدد عليها

---

(١) انظر : ابن حزم ، جهرة أنساب العرب ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ، سنة ١٩٨٣ ، ص ٩٤؛

Huici Miranda Historia Musulmana de Valencia, t. I, Valencia, 1969 p 120

(٢) العذرى ، ترصيع الأخبار ، ص ٦٠ ابن عذارى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢

M.J. Viguera, Arayon musulman, pp 51 - 52, 57

، مما دفع الأمير الحكم الربضى الى ارسال حملة بقيادة ابنه عبدالرحمن الذى انضمت اليه ايضا قوات الشجر الأعلى بقيادة عبدون والى طرطوشة وعمروس الوشقى المولد والى سرقسطة ، ودارت بين المسلمين والفرنجية معركة ضارية انتهت بهزيمة الفرنجية واضطر لذريق الى الانسحاب عائداً الى بلاده بعد أن قتل معظم عسكره (١) .

ومنذ عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ - ٨٥٢ م) أصبح ثغر طرطوشة قاعدة من قواعد الأسطول الأندلسى ، فقد اختص الأمير عبدالرحمن ذلك الثغر بعنايته ، وأمد عبيد الله بن يحيى (٢) ، والى ثغر طرطوشة - آنذاك - بالأموال والجند لحراسة حصونه وترميمها ، كما سير اليه فرقة من الفرسان الخرس (٣) لمساعدته فى حماية منطقة الثغر الأعلى ، ويذكر ابن

(١) انظر : ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ص ٤٠ ، ابن عذارى نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، مجلد ٤ ، ق ١ ، طبعه بيروت سنة ١٩٨٣ ، ص ٢٧٦ ، عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢٢٦ ؛ محمد الشيخ ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس ، الاسكندرية سنة ١٩٨١ ، ص ١٧٢ ، ٢٣٣ ، كمال أبو مصطفى ، المولدون فى منطقة الشجر الأعلى الأندلسى ، مجلة كلية التربية - جامعة الاسكندرية ، العدد الاول سنة ١٩٨٨ ، ص ٤٥٧ .

Levi - provençal, Histoire de L'Espagne musulman, t I, Paris, 1950, p. 184 & M.J. Viguera, Aragon musulman, p. 59

(٢) هو عبيد الله ( أو عبد الله كما عند العذرى وابن عذارى ) بن يحيى بن خالد كان من وزراء الأمير عبدالرحمن الأوسط ، كما تولى طرطوشة (من أعمال الثغر الأعلى) فى عهده ثم فى عهد ابنه الأمير محمد الذى أسند اليه القيادة بمنطقة الثغر الأعلى عقب عزله لموسى بن قسى المولد ، وكان عبيد الله بن يحيى هذا من القادة المخلصين لبنى أمية .

انظر : (ابن حبان ، المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٤١٥ ، هـ ١٧ ؛ ابن عذارى نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٧ ؛ كمال أبو مصطفى ، نفس المرجع السابق ، ص ٤٦٥ )

(٣) يقصد بالخرس هنا الممالك الصقلية ويطلق عليهم أيضا الفتيان والمجاييب والعلوج. وسمرأ بالخرس لعجمتهم ، وقد بدأ استخدام هؤلاء الممالك الصقلية منذ عهد الأمير الحكم الربضى على الأرجح ثم ازداد عددهم بدرجة كبيرة فى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم ==

حيان ان ابن يحيى والى طرطوشة بالشعر الأعلى قام - بتشجيع من الأمير عبدالرحمن الأوسط - باجراء القطنع على جنده ، كما صرف لهم «الرواتب والنفقات والعلوفات ..» مما فى يده من مال السلطان ، وذلك لتقويتهم على عدوهم ، ويضيف ابن حيان بأن ذلك العمل بالشعر وأهله يعتبر من جلائل مناقب الأمير عبدالرحمن الأوسط <sup>(١)</sup> .

ونستدل من المصادر العربية وجود جماعات بحرية اندلسية فى منطقة الساحل الشرقى وخصوصا بساحل طرطوشة وبلنسية ، وكانت تلك الجماعات تخضع إما لوالى طرطوشة أو للقائد الأعلى لمنطقة الشعر الأعلى وقاعدته مدينة سرقسطة ، وكانت مهمتها حماية السواحل الشرقية من هجمات أو غارات المسيحيين ، كما كانوا يقومون فى نفس الوقت بالتجارة البحرية ، وبنشاط بحرى كبير فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ، وشن غارات على السواحل الفرنجية (أى سواحل الدولة الكارولنجية) ، فهناك ما يفيد بقيام الأمير عبدالرحمن الأوسط بحشد اسطوله فى طرطوشة وبلنسية وأن هذا الأسطول ظل يوالى هجماته على سواحل الدولة الكارولنجية (أو الرومانية المقدسة) بجنوبى بلاد غالة ، مما ساعد على القضاء على قواعد المقاومة المسيحية بتلك المنطقة ، وبالتالى تمتعت سواحل طرطوشة والشعر الأعلى بالهدوء والأمن والطمأنينة <sup>(٢)</sup> .

---

== المستنصر واعتمد عليهم الإمويون فى الجيش والادارة واستخدم الخصيان منهم فى خدمة الحريم بالقصور راجع (ابن حيان ، نفسه ، تحقيق محمود مكى ، ص ٤٢٦ ، هـ ٠٤ المقرى ، رفح الطيب ، تحقيق يوسف البقاعى ، دار الفكر ، بيروت سنة ١٩٨٦ ، ص ٣٢٧ مختار العبادى ، الصقالبة فى إسبانيا ، مدريد سنة ١٩٥٣ ، ص ٩ هـ ٠ عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، اثارهم ، ص ٣٦٧ .

(Levi-Provençal Histoire t III pp 172 - 179)

(١) انظر المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٦ - ٧

(٢) ابن حيان ، نفسه ، تحقيق محمود مكى ، ص ٢ ، ٣ ، ٦ ، مختار العبادى ، وعبدالعزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، ج ٢ ، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، ==

ويلاحظ انه كان لتلك الجماعات البحرية بساحل طرطوشة مراس ورباطات، فالمصادر الجغرافية تشير إلى وجود رباطات ساحلية قرب طرطوشة ، وكانت هذه الرباطات بمثابة محارس ومواضع للرباط والجهد فى سبيل الله ، ورد الاعتداءات البحرية التى كان يوجهها اعداء المسلمين على السواحل الأندلسية (١) .

ومن المرجح أن ثغر طرطوشة تعرض فى عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن الأوسط (٢٣٨ - ٢٧٣هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦م) لاحدى غارات النورمانديين (أو المجوس كما يطلق عليهم فى المصادر العربية) أثناء غاراتهم على السواحل الغربية والشرقية فى سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩م يدلل ما يذكره الحميرى بأن هناك موضعا بساحل طرطوشة يسمى القبطيل أو العسكر، كان يقع عند مصب وادى طرطوشة (نهر إبرة) فى البحر ، وهو موضع عسكر به المجوس واحتفروا حوله خندقا ظل اثره باق لفترة طويلة . ولعل نزول النورمانديين أو المجوس بساحل طرطوشة وقع عقب اغارنهم على ساحل تدمير (مرسية) بشرق الاندلس فى طريقهم نحو بلاد الفرنجة (٢) .

=- بدون تاريخ ، ص ١٤٩ ، ارشبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة احمد عسى ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٩٩ - ٢٣ ؛ شكيب ارسلان، تاريخ عزوات العرب، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٥٠ ، ١٥٦ .

(١) انظر الادريسي ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ ، الزهرى ، كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، دمشق سنة ١٩٦٨ ، ص ٣١

(٢) انظر ، الحسبى ، الروض المعطار ، ص ٤٥٤ ، شكيب ارسلان ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٧٥ . راجع التفاصيل حول تلك الغارة النورماندية على الاندلس فى (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٣٧ - ٣٨ ، العذرى ، برصيع الأخبار ، ص ٣١ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، حسين مؤس ، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، نشر دار المستقبل ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٣١ - ٣٠ ، عبدالله عان ، دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الاول القسم الاول ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، سنة ١٩٨٨ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ؛

(Levi Provencal, Histoire (1 pp 31 - 311)

وفى عهد الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) ازدادت حالة التفكك والتمزق السياسى فى الاندلس ، وأخذ معظم الولاة والقادة العسكريين فى الاستقلال بما تحت أيديهم من ولايات ومن ذلك ثغر طرطوشة الذى استقل به بنو المهاجر التجيبون <sup>(١١)</sup> ، الذين بسطوا نفوذهم أيضا على سرقسطة خلال ذلك العهد ، ويؤكد ذلك قول الرازى ان محمد بن عبدالرحمن بن المهاجر التجيبى دخل سرقسطة متوليا حكمها من قبل الامير عبدالله فى سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م ، لمواجهة خطر بنى قسى المولدين الذين اعلنوا التمرد والعصيان انذاك بمنطقة الشعر الاعلى <sup>(١٢)</sup>

وفى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م) ازدادت أهمية طرطوشة كقاعدة بحرية رئيسية فى الساحل الشرقى للاندلس ، فقد أنشأ بها دارا لصناعة سفن الاسطول فى سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م ، وبررت طرطوشة فى عهده ثغرا هاما وقاعدة بحرية من الطراز الأول . لا سيما انها كانت تتمتع بميناء صالح لرسو السفن ، وتتوفر بها اخشاب الصنوبر اللازمة لصناعتها ، وكان المسلمون بخرحون من ميناء طرطوشة فى الاسطول لغزو سواحل برتلوبة وبلاد الفرنجة . وقد وصلت اليها فى المصادر العربية اشادات عديدة الى خروج قائد الاسطول محمد بن رماحس للغزو منها إلى بلاد الفرنجة ، مضيف ابن

(١١) انتسب بنو المهاجر الى قسيلة نجيب العرسة ، وبدأ ظهورهم على مسرح الحوادث بمنطقة الشعر الاعلى منذ عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن الاوسط ، ويذكر العدري انه لما ثار بنو قسى من المولدين على الامير محمد ثغر سرقسطة سوه بأما ، عبدالعزير بن المهاجر التجيبى ، سى اليهم قلعة ابوب (Alalavouche) وأسند ولايتها الى عبدالرحمن بن عبدالعزير بن المهاجر . عهد الله هم ، فقامه من سى المهاجر مهمة محاربة سى قسى المولدين الذين خرجوا عن طاعته ، واستسلم بالشعر الاعلى راجع التفاصيل فى (العدري ، برصع الأخبار ، ص ٤١ ، مما يليها عبدالعزير سالم تاريخ المسلمين ، اثارهم فى الأندلس ٢٥٨٢)

(١٢) العدري نفسه ص ٤١ ، مؤلف مجهول ذكر بلاد الاندلس ح ١ ش ١ ، بمحمو لم بن ملبيا ، مدريد سنة ١٩٨٣ ص ١٥٥

حيان بأن اسطول المرية كان إذا خرج منها للغزو يرسو عند عودته بساحل ثغر طرطوشة ، لحين تأتية الأوامر من الخليفة الناصر بالاتجاه إلى مناطق أخرى للمشاركة في محاربة اعداء الدولة سواء في بلاد النصارى أو في بلاد المغرب <sup>(١)</sup> .

وكان من مظاهر اهتمام الخليفة لناصر بثغر طرطوشة ان قام بزيارته في سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠ - ٩٤١م - عقب شكوى أهل طرطوشة من ثقل المغارم - أي الضرائب المفروضة عليهم ، حيث أمر بالتخفيف عنهم وعدم ارهاقهم بالضرائب ، واسقط عنهم الزكاة والصدقات ، وكتب لهم عهدا بذلك ، ولعل الدافع الى ذلك هو احساس الخليفة الناصر بخطورة موقع بلدهم ، وقربهم من بلاد العدو المسيحي «شديد الشوكة» على حد قول المؤرخ ابن حيان ، خاصة وأن ثغر طرطوشة كان يقع - كما سبقت الإشارة - في قاصية اراضي الإسلام في الاندلس ، وفي مواجهة مملكتي قطلونية ونبرة <sup>(٢)</sup> .

---

(١) انظر . ابن حيان ، قطعة من المقتبس (خاصة بعهد الخليفة الناصر) ج ٥ ، تحقيق بدرشالميتا وكورينطي ، مدريد سنة ١٩٧٩ ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ : العذرى ، نفسه ، ص ٨١ ، الحميري ، نفسه ، ص ٣٩١ : عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، الاسكندرية سنة ١٩٨٤ ، ص ٣٦ - ٣٧ ، مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية سنة ١٩٦٨ ، ص ٢٤٦ .

Levi - Provençal, Inscriptions arabes d'Espagne. Paris. 1931 pp 83 - 84 & M.J. Rubiera, La taifa de Denia, p. 26

(٢) ابن حيان ، نفسه ، ج ٥ ، نشر شالميتا وكورينطي ، ص ٤٦٨ :

(Maria J. Rubiera, op cit, p. 24)

(٣)

### طرطوشة فى عصر دويلات الطوائف

بدأت طرطوشة تظهر على مسرح الحوادث فى الأندلس مع بداية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، أى منذ اندلاع الفتنة القرطبية وتدهور الخلافة الأموية ، وقيام دويلات الطوائف فى الأندلس . غير أنه من الملاحظ إن إمارة طرطوشة فى عصر الطوائف كانت إمارة صقلبية ضعيفة الشأن فى شرق الأندلس ، ولم يكن لها دور سياسى مؤثر فى حوادث تلك المنطقة بالمقارنة بالدور الخطير الذى لعبته دويلات الطوائف الصقلبية الأخرى مثل بلنسية ودانية والمرية ومرسية.

وعلى أية حال لم يكد ينتهى عهد المظفر عبدالملك بن المنصور بن أبى عامر بوفاته فى سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٩م وتولية أخيه عبدالرحمن شنجول الحجابة للخليفة هشام المؤيد ، حتى بدأت فترة من أسوأ الفترات التى عرفها تاريخ الأندلس منذ الفتح الاسلامي ، حيث حاول شنجول أن يدعو لنفسه بالخلافة مما أدى إلى قيام الثورة ضده ، وانتهى الامر بمقتله وسقوط الدولة العامرية فى سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٩م، وكان ذلك ابذانا بنشوب فتنة مأساوية عرفت فى المصادر الإسلامية بالفتنة القرطبية ، التى انتهت بسقوط الخلافة الأموية فى الأندلس فى سنة ٤٢٢هـ / سنة ١٠٣١م وقيام عصر جديد يعرف بعصر دويلات الطوائف أو عصر الفرق ، الذى يبدأ فعليا مع مطلع القرن ٥ هـ / ١١م ، ويمثل بداية انهيار دولة الإسلام فى الأندلس<sup>(١)</sup> .

(١) راجع التفاصيل حول فترة الفتنة القرطبية وقيام دويلات الطوائف فى (ابن عذارى ، نفسه ، ح ٣ ، شر لبعى بروفنسال ، ص ٢٥٣ وما يليها ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، شر لبعى بروفنسال ، الرباط سنة ١٩٣٤ ، ص ١٢٦ وما يليها ، عبدالعزير سالم ، تاريخ المسلمين ، آثارهم ، ص ٣٤٧ ، ما يليها ، العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٧ ==



ويعصور ابن بسام سنوات الفتنة القرطبية تصورا صادقا بقوله أنها « كانت شدادا نكدات صعبا مشثومات .... قبيحة المنتهى والحاقمة ، لم يعدم فيها حيف ... ولا تم سرور ، مع تغير السيرة وخرق الهيبة ... » ، وقد نتج عن تلك المأساة التي بدأت سنة ٣٩٩هـ أن استغل الأمراء والقادة - من العرب والبربر والصقالبة - الفرصة وأعلنوا استقلالهم بما تحت أيديهم من مناطق ، فاقتسموا خطط الأندلس وتغلب بعضهم على بعض ، مما كان له أثره الكبير فى إضعاف قوى الاسلام فى الأندلس ، وبالتالي إزدياد أطماع النصارى الإسبان فى بلادهم (١) .

ولعل أول إشارة وردت إلينا عن طروشة أثناء الفتنة القرطبية ترجع إلى سنة ٤٠٠هـ / ١٠١٠م ، أى مع بداية نشوب الفتنة ، فقد خرج إليها واضح الصقلبي (٢) عندما ترك

== - ٩٥ ، عنان نفسه ، العصر الاول ، ق ٢ ، ص ٦٤٢ وما يليها ،

H. Mones, Essasi sur la chute du Califat umayyade, de cordoue, le Caire, 1984, pp 248 - 599 & Levi - provençal, Histoire. t. II. pp. 311 - 341).

(١) انظر : ابن بسام ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق ١ مجلد ١ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت سنة ١٩٧٣ ، ص ٣٦ ، المقرئ ، نفع الطيب ، ج ١ ، طبعة بيروت ص ٤٢٠ ، عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثارهم ، ص ٣٥٢ وما يليها ، عبدالحليم عويس ، ابن حزم الأندلسى ، القاهرة ، ح ٢١ ، سنة ١٩٨٨ ، ص ٢٢ - ٢٣ ، الطاهر مكي ، دراسات أندلسية ، ط ٣ ، دار المعارف سنة ١٩٨٧ ، ص ٢٦٦ ؛

H. Mones, Consideraciones sobre la epoca de los reyes de taifas, Al-Andalus, Vol, XXXI, Madrid, 1960. pp. 319 - 320 & Alfif Truk, El reino de xaragoxa, madrid. 1978, p 16.

(٢) هو واضح الصقلبي أو الفتى ، أحد موالى المنصور بن أبى عامر وابنه المظفر عبدالمملك ، ومن أبرز الفتيان العامرية فى عهد الأخير . كان قائدا لمنطقة الشجر الأعلى واشترك فى العديد من غزوات المظفر ضد الممالك الاسبانية المسيحية. وبعد مقتل شنجول ساهم واضح فى حوادث الفتنة القرطبية ، فكان فى البداية من انصار محمد بن هشام بن عبدالجبار المهدي الذى ولاه طليطلة والشجر الأوسط ثم انقلب عليه وقام بقتله واعلن توليه الحجابة للخليفة هشام المؤيد ، وكان =

مدينة سالم<sup>(١)</sup> ، عقب هزيمته أمام جيش البربر بقيادة سليمان المستعين ، فما كاد يصل إلى طرطوسة حتى بعث إلى الخليفة المستعين بقرطبة يلتمس الصفح والأمان ، وفي نفس الوقت أرسل إلى نصارى برشلونة يطلب منهم المساعدة ضد المستعين والبربر نظير تخليته لهم عن مدينة سالم قاعدة الشعر الأوسط في الأندلس ، ووافق رينده (رامون بوريل الثالث Ramon Borrell III) صاحب برشلونة وأخوه أرمقند (ويسمى في المصادر الإسبانية Armengol conde de Urgel) على ذلك العرض المغري<sup>(٢)</sup> ، مما بدل على أن زعماء الفتنة القرطبية - ومنهم الفتى واضح الصقلي - لم يهتموا بالمصلحة العليا لدولة الإسلام في الأندلس ، وإنما اهتموا بمصالحهم الذاتية ، وفي سبيل ذلك استعانوا علي بعضهم البعض بالنصارى الأسبان

---

-- = واضح الصقلي هذا من أكبر المناوئين للخليفة سلمان المستعين ، حلفائه البربر . ظل كذلك إلى أن قتل في سنة ١٠١١ هـ / ١٠١١ م على يد ابن وداعة صاحب شرطة الخليفة هشام المؤيد بقرطبة انظر (ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٠٦ ، ١١ ، ٥٠١ ، عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩)

(١) مدينة سالم (بالإسبانية Medinaceli) كانت في عصر الدولة الأموية قاعدة الشعر الأوسط في الأندلس ، لمواجهتها مملكة قشتالة المسيحية ، وهي تقع في الشمال الشرقي من مجريط (مدريد) على الطريق بين مجريط وسفسطة ، قام ببناء تلك المدينة سالم بن زعمال المصمودي أحد القادة البربر الذين دخلوا الأندلس مع الفتح الإسلامي ، ولذا نسبت إليه ويصفها الإدريسي بأنها مدينة جليلة عامرة تقع في أرض سهلة ، وتكثر البساتين انظر (المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٥١٤ هـ ٢٦٨ ، نزهة المشاق ، ج ٢ ، ص ٥٥٣ ، محمد الفاسي ، الأعلام الجغرافية الأندلسية ، ص ٣١)

(٢) انظر . ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٩٣ - ٩٤ ؛ عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، آثارهم ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ، سحر سالم ، تاريخ بطليوس الإسلامية ، ج ١ ، الإسكندرية سنة ١٩٨٩ ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

Aguado Bleye Manual de historia de España, t. I, Madrid, 1947  
pp 506 - 507 & Al II Fink op cit, p 45

تحقيقا لمطامعهم الشخصية ورغبتهم في النفوذ والسلطان دون أدنى اعتبارات دينية أو اخلاقية .

وكيفما كان الأمر فإن الفتى واضح الصقلي لم يستمر طويلا بطرطوشة، فلم يلبث أن غادرها في نفس السنة ( ٤٠٠هـ ) إلى طليطلة ليجتمع بها مع ابن عبد الجبار المهدي ، ولحقت بهما هناك قوات حلفائه نصارى برشلونة ، استعدادا لمنازلة جيش الخليفة المستعين والبربر بالحاضرة قرطبة (١) .

ونتيجة لاضطراب الأحوال بالحاضرة قرطبة والحروب المستمرة بين سليمان المستعين وخصمه المهدي أثر الفتيان الصقلية (العامة) النجاة بأنفسهم ، ومغادرة الحاضرة قرطبة والاتجاه الى بلاد شرق الاندلس حيث أسسوا عدة دويلات طائفية صقلية في المرية ودانية وبلنسية ومرسية وطرطوشة ، وكان من دوافع نزوحهم الى شرق الاندلس بالذات ، ما تميزت به تلك المنطقة من هدوء واستقرار نسبي بعيدا عن أجواء الفتنة المحتدمة بقرطبة (٢) ، ومن ناحية أخرى يشير ابن عذاري إلى أن محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي لما استولى على الحكم بقرطبة سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٩٠م انقلب على الطائفتين الصقلية والبربرية واتخذ جنداً من العامة وراذل الناس وقريهم إليه ، «فاستوحشوا منه» ، واضطر الصقلية (العبيد العامة) إلى مغادرة قرطبة واللحاق بشرق الأندلس (٣) .

(١) ابن عذاري ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٩٤ .

(٢) انظر ابن عذاري ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠٦ ، ١١٥ : عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٥٩ . لطفى عبد البديع ، الإسلام في اسبانيا ، القاهرة ، ط ٢ سنة ١٩٦٩ ، ص ٣٧ ؛ كمال ابو مصطفى ، تاريخ مدينة بلنسية الاسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، نوقشت بأداب الاسكندرية سنة ١٩٨١ ، ص ٥٦ ، ٦١ .

H, Miranda, Historia musul . de valencia, t. I, p. 136 David Waserstein, The rise and fall of the party kings, New Jersey 1985, p 100 & M.J. Rubiera, La taifa de Denia, p . 61

(٣) البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٨٢ ، ٨٣

ويضيف ابن الخطيب سببا آخر وهو أنه لما دخل سليمان المستعين قرطبة في سنة ١٠١٣ هـ / ١٠٤٠ م قرب إليه البربر ، فخشى الصقالبة من ذلك ، وآثروا الفرار والالتجاء إلى شرق الاندلس حيث الأمن والطمأنينة (١) .

وتشير المصادر العربية إلى أن مجاهدا العامري أول من استقل بطرطوشة في بداية الفتنة وعصر الطوائف فيذكر ابن خلدون أن مجاهدا العامري خرج من قرطبة في سنة ١٠٤٠ هـ / ١٠١٠ م واتجه إلى طرطوشة واستولى عليها ، ثم لم يلبث أن غادرها وانتقل إلى دانية واستقل بها (٢) .

وعقب ذلك تولى لبیب الصقلبي (٣) (العامري) حكم طرطوشة وكان أحد الفتيان أو الموالي العامرية الذين اشتركوا في مبايعة عبدالرحمن (الرابع) بن

(١) اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ١٣٩ .

(٢) انظر : العبر ، ج ٤ ، منشورات مؤسسة الأعلى ، بيروت سنة ١٩٧١ ، ص ١٦٤ ، مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ج ١ ، ص ١٠٢ ، ٢١٧ .

(٣) جدير بالملاحظة هنا إن بعض الباحثين خلطوا بين لبیب الصقلبي الذي حكم طرطوشة في أوائل عصر الطوائف وبين رميله ببيل الصقلبي الذي حكم طرطوشة بعد ذلك بعد سنوات

فيرى الباحث الاسباني بریتو إى ببیس والساحنة الايطالية كليلا سارنللى أن نبیلا الصقلبي هو الذى استقل بطرطوشة منذ بداية عصر الطوائف (أوائل القرن ٥ هـ / ١١ م) ويستند فى رأيهما هذا على أنه لم يعثر على عملة تحمل اسم الفتى لبیب ، وأن العملات التى عثر عليها انما تحمل اسم نبیل فحسب - غير أننى لا أتفق مع أصحاب هذا الرأى خاصة وأن معظم مؤرخى تلك الفترة وعلى رأسهم ابن حیان الذى ينقل عنه ابن بسام وابن عذارى علاوة على ديوان الشاعر ابن دراج القسطلی - المعاصر لتلك الفترة كلهم قد أجمعوا على أن لبیبا الصقلبي هو أول من استقل بحكم طرطوشة فى بداية عصر الطوائف وهو ما أثبتناه بالمتن . انظر (ديوان ابن دراج ، تحقيق محمود مكى ، ط ٢ ، دمشق سنة ١٣٨٩ هـ ، ص ٩٠ بالهامشية ، (ابن بسام ، نفسه ، ٣ مجلد ١ ، ص ٢ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٦٤ ، ٣٩٢ ، ابن الخطيب نفسه ، ق ٢ ، ص ١٩٨ ، ٢٥٩ ، وقارن أيضا بما ورد فى : مختار العبادى ، الصقالبة فى اسبانيا ، ص ١٩ ، كليلا سارنللى ، معاهد العامرى ، ص ١١٨ ، ١٦١ ؛

(Prieto y Vives, Los reyes de tartas Madrid, 1926 p 37 - 39)

محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمرتضى بالخلافة فى شرق الأندلس حيث كان يقيم بألبونت (Alpuente) - شمال غرب بلنسية - وذلك فى سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م (وقيل فى سنة ٤٠٧ هـ) غير أن محاولة الفتى العامرية باءت بالفشل بعد الهزيمة النكراء التى منى بها المرتضى وأشباعه بظاهر غرناطة على أيدى البربر بقيادة زاوى بن زبرى الصنهاجى ، وفيها لقي المرتضى مصرعه فى سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م <sup>(١)</sup> .

وحرص لبيب الصقلبي على توطيد علاقته مع جيرانه الأقوياء وخصوصا مع مبارك الصقلبي <sup>(٢)</sup> صاحب بلنسية ، ويبدو أنه كان يدين له بنوع من التبعية

---

(١) انظر : ابن بسام ، نفسه ، ق ١ مجلد ١ ، ص ٤٥٣ - ٤٥٦ ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، بشر محمد يوسف الدقاق ، بيروت سنة ١٩٨٧ ، ص ٩٩ ، ان الخطيب ، الاطحة فى أخبار غرناطة ، مجلد ٣ ، تحقيق عبدالله عنان ، القاهرة سنة ١٩٧٥ ، ص ٢٨٧ ، ان خلدون ، العبر ، مجلد ٤ ، ص ١٦٤ ، عبدالعزيز سالم تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٦٤ - ٦٥ ، رضوان البارودى ، الفهريون فى المغرب والأندلس ، دار نشر الثقافة الاسكندرية ، سنة ١٩٨٦ ، ص ٤٦

Prieto y Vives, op.cit. pp. 37 - 38 & H. Miranda op.cit., t. 1, p 241.

(٢) هو مبارك الخصى الصقلبي أحد الموالى العامرية بشرق الأندلس وكان فى بداية أمره عبدا لمفرج العامرى مولى المنصور بن أبى عامر ثم تولى مع زميله مظفر الصقلبي ، وكالة الساقية ببلنسية عند نشوب الفتنة ، ولم يلبث أن ضرب الدهر ضرباته على حد قول ابن حبان فقضى لهما بالامارة هناك ، وظل مبارك يتولى مع زميله مظفر - حكم بلنسية حتى مات فى سنة ٤٠٨ هـ أو سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٧ - ١٠١٨ م (راجع التفاصيل فى : ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٢ مجلد ١ ، ص ١٣ الى ٢ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٥٩ - ١٦٢ : ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢٢٥ ، العبادى ، الصقالبة ، ص ٢١ ، كمال ابو مصطفى ، تاريخ مدينة بلنسية ، ص ٦٣ - ٧١ :

(H. Miranda, op.cit, t 1 pp. 149 - 153.

حتى يسانده في مواجهة عدوه المتربص به وهو منذر التجيبى <sup>(١)</sup> صاحب سرقسطة الذى كان يتطلع الى الاستيلاء على إمارة طرطوشة ، فابن الخطيب يذكر أن لبيبا الصقلبي فر إلى بلنسية واستنجد بأمرها مبارك الصقلبي عندما استولى منذر التجيبى على طرطوشة وضمها إلى سرقسطة ، وفعلا زحف معه مبارك على رأس قوة من خمسمائة فارس من صعوة جنده ، وأنزلوا الهزيمة بمنذر التجيبى ، وأعاد مبارك بذلك إمارة طرطوشة إلى حليفه لبيب الصقلبي <sup>(٢)</sup> .

ونسنتج مما سبق أن السبب فى مبادره مبارك لنجده لبيب الصقلبي يرجع إلى كونهما ينتميان إلى طائفة واحدة وهى طائفة الصقالبة أو الموالى العامرية، التى كانت تحرص على تدعيم نفوذها بمنطقة شرق الأندلس فى مواجهة أطماع العنصر العربى ممثلا فى التجيبين أصحاب سرقسطة ، الذين كانوا يطمعون فى توسيع رقعة إمارتهم ومد سلطانهم الى طرطوشة وبلنسية ، ومن جهة أخرى فإن استيلاء منذر التجيبى على طرطوشة جعل منطقة نفوذه يفترب حدا من أراضى إمارة بلنسية الخاضعة لمبارك ومظفر .

وتشير بعض المصادر إلى أن لبيبا الصقلبي كان موحسا بالخرم والدها .

---

(١) هو أبو الحكم منذر (الأول) بن يحيى التجيبى كان فى بداية أمره رجلا من عرص الجند ثم برقه الى القيادة بالشفر الأعلى (سرقسطة) ، فى أواخر عهد الدولة العامرية ، أراداد نفوذه حلا الفتنة القرطبية فأقره سليمان المستعين على ولاية بلده سرقسطة فى سنة ٣ / ١٣ هـ / ١٠١٣ م وظل يحكمها هى والشفر الأعلى حتى وفاته سنة ٤١٤ هـ سنة ١٠٢٣ م ١٢٤٤ م وخلفه ابنه يحيى ، انظر : التفاصيل عنه فى . (ديوان ابن دراج ، تحقيق محمود مكى ، ص ٢ ١ الحاشية ١ ابن بسام ، نفسه ، ق ١ مجلد ١ ، ص ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ابن عذارى ، نفسه ج ٣ ، ص ١١٣ ، ١٧٥ - ١٧٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ١٣٩

pueto Y Vives, op cit, pp 43, 125 & AFH Turk, op cit, pp 39  
19

(٢) انظر : ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢٥٩ ٢٦

والسياسة ، ولذلك استطاع ان يحتفظ بحكمه لإمارة طرطوشة الضعيفة عدة سنوات ، رغم قلة مواردها<sup>(١١)</sup> . لم يكتف بذلك ، بل امتد نفوذه أيضا الى بلنسية لانهر فحصره فذكر ابن بسام نقلا عن ابن حيان - المعاصر لتلك الحوادث - أنه عقب موت مبارك صاحب بلنسية (سنة ٤٠٨ هـ أو سنة ٤٠٩ هـ) ، قام أهلها بدعوه لخدمته لسبب صاحب طرطوشة إلى حكم بلدهم ، ولكنه أساء إليه فيه مما أدى الي ثوره البلنسيين عليه ، فاضطر للفرار إلى بلده طرطوشة ، ثم حوّل سحاها العاهل من حكمه لبلنسية بالامانة إلى امارته بدانية ، غير ان مصعب بن ليبي العسقلبي لريثه (Ramon Borrell) صاحب برشلونة المسيحي وحرسه على مودنه والتفرب اليه حتى جعل نفسه كأحد عماله أدى أيضا الى ثوره أهل طرطوشة على ، فقاموا بخلعه ، وقيل قضاوا عليه ، واستنجدوا بمنذر الأول التجيبي<sup>(١٢)</sup> صاحب سرقسطة ، فأسرع اليهم وضم طرطوشة إلى إمارته ، وحقق بذلك هدفه الذي كان يسعى اليه منذ سنوات دون صعب ، غير أن ذلك

(١١) محمد الاشاعه هـ الي ان الشاعر ابن دراج الفسطل . وقد على أمراء الطوائف الصقالدة شرق القبايل منهم ابن الفسطل صاحب طرطوشة ومدحه بقصده طويلة منها

ها أنصرت عساك بدرا طالعا  
والله من بعدى عليك حلقة  
في الأفق إلا من هلال غارب  
داعى لبيب من مناخه ركائبى  
وخليفة هديت إليه مزاهاى

م يذكره ابن دراج مما يربط بينهما من خدمة الدولة العامرية فيقول

واهره بشوافع من عامر  
تزرى بكل قرابة ومناسب

وعلى الرغم من ذلك المديح الا ان ابن دراج لم يفر من لبيب أو غيره من الأمراء الصقالبة بطائل انظر القصيدة في (ديوان ابن دراج ، ص ٩ ٩٤)

(١٢) لاحظ هـ ان اس بساء احتلظ عليه اسم صاحب سرقسطة في تلك الفترة ، فذكر انه ابن هود ، لكن الصواب أنه مندر الأول بن يحيى التجيبي الذى حكم سرقسطة منذ سنة ٣ هـ حتى سنة ١٣١٤ هـ / ٢٣ م . هو ما أثبتناه بالمتن انظر الذخيرة ، ق ٣ ، مجلد ١ ، ص ٢

٢١ . ابن عدوى نفسه ح ٣ ص ١٦٥  
Al-H Fruk op cit p 47

أثار سخط مجاهد العامري الذي كان منافسا خطيرا للتجيبيين بمنطقة شرق الأندلس ، ونتج عن ذلك اندلاع الحرب بين الطرفين ، وانتهى الأمر باتفاق الموالي العامرية بتلك المنطقة على اسناد حكم بلسية إلى عبدالعزيز بن عبدالرحمن شنجول بن أبي عامر (حفيد المنصور) في سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م . في حين يتولى مقاتل الصقلبي (العامري) حكم طرطوشة ، وبذلك استقرت الأوضاع نسبيا بمنطقة شرق الأندلس <sup>(١)</sup> .

ويعتبر مقاتل الصقلبي من أبرز الأمراء الصقالبة الذين تولوا حكم طرطوشة في عصر دويلات الطوائف ، فقد وصفته المصادر بالسياسة والنشاط ، كما استعان بمجموعة من ذوي الكفاءة والخبرة الادارية في تسيير شئون إمارته ، وتلقب مقاتل بمعز الدولة وسيف الملة ، ويسخر ابن عذارى من ذلك فيقول انه «لقب اخترعه لنفسه ، فكان يكتب به إليه وعنه ..» <sup>(٢)</sup> .

ويتضح من المصادر أن مقاتلا الصقلبي كان من بين الفتيان الصقالبة الذين بايعوا هشام بن محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر الملقب بالمعتد بالله بالخلافة ، وكان هشام مقما - انذاك - بالونت عند بني قاسم الفهريين بعد

(١) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ ، مجلد ١ ، ص ٢ - ٢١ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٦٤  
١٦٥ ، كمال أبو مصطفى ، تاريخ مدينة بلسية ، ص ٧١

II Mirana open t 1, pp 241 - 242

وحدير بالاشارة ها أن الأمير عبدالعزيز بن أبي عامر كان يقيم بسرقسطة قبل توليه حكم بلسية ، حيث كان يعيش في كنف صاحبها مندر بن يحيى التجيبى وظل مقبما بها الى أن استدعاه الفتيان العامرية لحكم بلسية ، ومن هنا يمكن أن نستنتج بأن هناك اتفاقا - مثل الله العتاس - العامرية أو الصقالبة بشرى الاندلس مع مندر التجيبى على ان يتخلى مجاهد العامري عن حكم بلسية للأمير عبدالعزيز بن أبي عامر ، بينما يتخلى مندر عن طرطوشة لمقاتل الصقلبي

(٢) البيان المغرب ج ٣ ، ص ٢٢٤



مقتل أخيه المرتضى ، فاتفق الوزير أبو الحزم جهور بن جهور شيخ الجماعة بقرطبة مع امراء الثغور من الصقالبة ومنهم مقاتل الصقلبي على إعادة الخلافة بالأندلس إلى بنى أمية ، وإنهاء الخلافة الحمودية بقرطبة ، وعلى هذا تمت مبايعة هشام بالخلافة في سنة ٤١٨هـ / ١٠٢٧م وتلقب بالمعتد بالله ، وتمكن بمساعدة أنصاره من دخول قرطبة في سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م <sup>(١)</sup> .

وتشير بعض الروايات إلى العلاقات الودية الطيبة التي كانت تربط مقاتل صاحب طرطوشة بالخليفة هشام المعتد بالله بقرطبة ، حيث كان الأخير يرسل إليه بالسفارات دعما لتلك الروابط بينهما <sup>(٢)</sup> ، كما كانت تربطه علاقات وطيدة بإقبال الدولة علي بن مجاهد العامري صاحب دانية <sup>(٣)</sup> ، وظل مقاتل الصقلبي مواليا للخلافة الأموية بعد خلع هشام المعتد بالله في سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م ،

---

(١) انظر الحميدى ، حذوة المقتبس في ذكر ولاء الأندلس ، نشر الدار المصرية ، القاهرة سنة ١٩٦٦ ص ٢٧ - ٢٨ ؛ ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ مجلد ١ ، ص ٥١٥ وما يليها ؛ ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٥٥ ، النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٢ (الخاص بالمغرب ، والأندلس) نشر جاسبار ريمرو ، غرناطة سنة ١٩١٧م ، ص ٢٣٧ ؛ عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٦٣

(٢) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ ، مجلد ١ ، ص ٥١٤ ، ومن أمثلة السفارات التي بعثها الخليفة هشام المعتد بالله إلى مقاتل صاحب طرطوشة ، السفارة التي كان على رأسها وزيره فائز بن المغيرة الذي اجتمع بطرطوشة مع أبي الربيع القضاعى أحد شعراء وأدباء طرطوشة آنذاك ، فقال له فائز لو لحقت بقرطبة إلى أمير المؤمنين المعتد بالله كنت تحصل بها على الوزارة معنا ، فأنشده أبو الربيع ساخرا .

هيك كما تدعى وريرا      وزير من أنت يا ورير  
والله ما للأمير معنى      فكيف من وزر الأمير

وهذه الأبيات إنما تدل على مدى ما وصلت إليه الخلافة الأموية من ضعف واضمحلال في فترة الفتنة القرطبية التي أعقبت مقتل شنجل ، وطلت مشتتة إلى أن سقطت الخلافة نهائيا في سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣١م انظر : (الدخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٥١٤) .

(٣) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ مجلد ١ ، ص ٣٦٣

فقد انضم في سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م الى الطائفة الأندلسية التي كانت تضم أيضا عبدالعزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية وسليمان بن هود الجذامي صاحب سرقسطة والثغر الأعلى ، وابن جهور صاحب قرطبة وابن صمادح التجيبى صاحب المرية ، وكانت تلك الطائفة الأندلسية تدعو للخليفة هشام المؤيد - المزعوم - الذى نصبه القاضى أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد بإشبيلية <sup>(١)</sup> ، وما يؤكد ذلك الولاء الروحى للخليفة هشام المؤيد نقش اسمه على العملة التى سكها مقاتل الصقلبي بطرطوشة ، وكان هدف أمراء الطوائف - من الصقالبة والعرب - إسباغ حكمهم نوعا من الشرعية وذلك بإعلانهم التبعية الاسمية لأحد الخلفاء الأمويين <sup>(٢)</sup> .

ويبدو أن العلاقات ساءت فى أواخر عهد مقاتل الصقلبي بينه وبين المنصور عبدالعزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية (ت سنة ٤٥٢ هـ / ١٠٦١ م) ، وكان من أقوى أمراء الطوائف بشرق الأندلس ، فيذكر ابن بسام أن المنصور عبدالعزيز ارسل جيشا من العبيد أو الموالى العامرية ، فزحف من شاطبة إلى طرطوشة لمحاربة أميرها مقاتل الصقلبي ، وانتهت الحرب بهزيمة مقاتل ومقتله فى سنة ٤٤٥ هـ ، مما أثار غضب المقتدر بالله احمد بن سليمان بن هود (تولى حكم سرقسطة منذ سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م حتى سنة ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م) وكان يرتبط على الأرجح - بعلاقة تحالف وصداقة مع مقاتل الصقلبي ، والغالب أن الأخير

(١) انظر : ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٩ ، عبدالعزير سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، ج ١ ، بيروت سنة ١٩٧١ ، ص ١٢٧ ، العبادى ، دراسات ، ص ٨٩ - ٩٢ ، خالد الصومى ، جمهورية بنى حمهور ، دمشق سنة ١٩٥٩ ، ص ٦٤ .

(Andrew Handler, The Zirds of Granada, Miami, 1974, p 54

(٢) Codera Y Zaidm, Tratado de numismatica arabigo Española, Madrid, 1879 pp 181 - 183 & Prieto Y Vives, op cit, p 37

كان يدين بنوع من التبعية لجيرانه بنى هود أصحاب سرقسطة والشجر الاعلى ،  
مما يفسر سبب سخط الأمير المقتدر بن هود (ويذكره ابن بسام خطأ منذر  
التجيبى) وغضبه لمقتبل مقاتل وارساله كتاب تهديد ووعيد للمنصور صاحب  
بلنسية (١) .

ومن المرجح استنادا الى العملة المذكورة بالاضافة الى رواية ابن خلدون أن  
مصرع مقاتل الصقلبي حدث فى سنة ٤٤٥هـ / ١٠٥٣ - ١٠٥٤ م ، وخلفه فى  
حكم طرطوشة يعلى الصقلبي (العامرى) الذى تلقب ايضا بسيف الله ومعز  
الدولة (٢) ، غير انه كان عاطلا من صفات سلفه ، فقد كان ضعيفا ، قليل الخبرة  
بأمور السياسة والحكم ، ولذا لم يتمكن من الحفاظ على ملكه وسرعان ما وقعت  
طرطوشة تحت حكم الفتى نبيل الصقلبي فى سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨ م ، الذى كان  
يفتقر أيضا للحنكة السياسية والكفاءة الادارية ، ولذا ثار عليه اهل طرطوشة  
فى سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠ م ، بسبب تخبطه فى الحكم وسوء معاملته للرعية ،  
وتشده وعنفه معهم ، ولعل جاره المقتدر بن هود صاحب سرقسطة لعب دورا

(١) الذخيرة ، ق ٣ ، مجلد ٢١ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

Prieto Y vives, op.cit, pp, 38, 121

ويذكر ابن بسام أن الأمير منذر التجيبى (والصواب كما اثبتنا بالتم أن المقتدر بالله أحمد بن  
سليمان بن هود صاحب سرقسطة لأن المنذر الثانى قتل سنة ٤٣٠هـ) عندما علم بمقتل مقاتل  
صاحب طرطوشة على يد جيش المنصور أمير بلنسية أرسل الى المنصور يردد ويبرق ، فراجع  
أبو عامر التاكرنى كاتب المنصور ببيتى الشاعر المتنبى كـ

فإن كان الخضير عامكم فعودوا إلى حمص فى القابل

فإن الحسام الخضير الذى قتلت به فى يد القاتل

انظر (الذخيرة ، ق ٣ ، مجلد ١ ، ص ٢٢٩) .

(٢) انظر ، العبر ح ٤ ، ص ١٧٣ ؛

Prieto Y Vives, op cit pp 38' 122' 122, 190

فى اشعال نار الثورة ، ضده حتى تتاح له الفرصة للتدخل وتوسعة ممتلكاته ، وذلك ببسط نفوذه على طرطوشة ايضا علاوة على إمارته الواسعة بسرقسطة ودانية ولاردة <sup>(١)</sup>.

وعلى أية حال فقد وجد ابن هود فى ثورة أهل طرطوشة ضد حاكمهم نبيل الصقلبي ذريعة للتدخل العسكرى ، فزحف بجيشه نحو طرطوشة ، ودخلها سلما دون مقاومة ، فى سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م بعد ان سلمها له صاحبها نبيل الذى لجأ إلى بلاط ابن هود بسرقسطة وعاش فى كنفه ، وبذلك انتهت دولة الفتىيان الصقالبة العامرية بطرطوشة <sup>(٢)</sup> ، ودخلت منذ ذلك الحين فى فلك مملكة بنى هود بسرقسطة ، وأصبحت تتمتع بحماية بنى هود الأقوياء أصحاب الثغر الأعلى ، وانعكس ذلك بطبيعة الحال على احوالها الداخلية ، فتحسنت أحوالها نسبيا عما انت عليه فى عهد الصقالبة ، ونعم أهلها بالهدوء والاستقرار والأمن فى ظل

---

( ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ ، ٢٥ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ١٩٨ ، عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ج ٣ ، القاهرة سنة ١٩٨٨ ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ ،

Abil Turk op cit, p 81

(٢) ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٥ ، ابن خلدون ، نفسه ، ج ٤ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ ، كليما سارنللي ، مجاهد العامرى ، ص ١١٩ ، عنان ، نفسه ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ ؛

Prieto Y Vives, op cit, p 39, M.J Viguera, op cit, p 149 & Abil-Turk op cit, p 81

وجدير بالملاحظة هنا إن بعض المصادر تذكر ان نبيل الصقلبي خرج من طرطوشة فى سنة ٤٥٢ هـ وكان قد تولاه بعد صاحبها الفتى مقاتل .

انظر (ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ١٩٨) والحقيقة ان تلك الروايات غير صحيحة ، لأن من الشايت استنادا للعملة التى سكت بطرطوشة فى عصر الطوائف ان يعلى الصقلبي تولى بعد مقاتل ، ثم خلف يعلى فى الحكم الفتى نبيل الصقلبي وهو الذى سلم بلده طرطوشة لابن هود صاحب سرقسطة.

انظر : Prieto Y Vives, op cit, pp 37 - 39 & Codera, op cit, pp 181 - 183

حكم بنى هود. غير أن تلك الحلة لم تستمر طويلا ، إذ أن المقتدر بالله قبيل وفاته اقدم على تقسيم مملكته الواسعة سنة ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م بين ولديه يوسف (الملقب بالمؤمن) ، والمنذر (عماد الدولة) ، فأسند إلى المؤمن حكم سرقسطة وأعمالها ، بينما خص المنذر بإمارة لاردة وطرطوشة ودانية . ونتج عن ذلك التقسيم نشوب الحرب الأهلية بين الأخوين ، وتحالف كل منهما مع جيرانه النصراني الإسبان المتريصين بدولة الإسلام في الأندلس ، فتحالف المنذر مع سانشو راميرث (Sancho Ramirez) ملك أرغون (أراجون) ، في حين تحالف أخوه المؤمن مع السيد القنبيطور (El Cid Campeador) القائد القشتالي المغامر الذي كان يعمل - غالبا - لحسابه الخاص مع جنده المرتزقة ، وانتهت الحرب بهزيمة المنذر ، وانعكست تلك الحروب الأهلية على أحوال إمارته ومنها طرطوشة ، إذ عانى أهلها من افتقاد الشعور بالأمن والطمأنينة بالإضافة إلى ارهاقهم بكثرة المغارم والضرائب لتجهيز الجيوش ، ودفع رواتب الجند النصراني المرتزقة ، وإرسال الهدايا والاتاوات إلى جيرانه من ملوك النصرانية وخصوصا صاحب مملكة أرغون (١) .

وفى سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ تعرضت طرطوشة لهجوم صليبي من البر والبحر حيث قام أسطول جنوة وغيرها من نصارى المدن أو الجمهوريات الإيطالية، بمحاصرة طرطوشة وانضم إلى الجنوبيين أيضا ابن

---

(١) انظر : مذكرات الأمير عبد الله الزيري المسماة بكتاب التبيان ، نشر ليفي بروفنسال ، طبعة دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ ، ص ٧٧ - ٧٩ ؛ ابن الكردبوس تاريخ الأندلس ، تحقيق مختار العبادي ، نشر معهد الدراسات الإسلامية بمطبعة ، سنة ١٩٧١ ، ص ٨٦ هـ ، ١ ، عنان ، نفسه ، ص ٢٣٤ ، ليفي بروفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة عبدالعزيز سالم وصلاح الدين حلمي ، الاسكندرية سنة ١٩٩٠ ، ص ١٨٣ ؛

ردمير (أى سانشو راميرث) Sancho Ramirez صاحب أرغون ورايغنه  
(رامون برنجير الثالث) (Ramon Berenguer III) صاحب برشلونة غير ان  
ذلك الهجوم باء بالفشل ولم يتمكن النصارى من اقتحام طرطوشة لحصانتها ،  
واستبسال جند المنذر بن هود فى الدفاع عنها ، فاضطروا الى الانسحاب ، وفى  
ذلك يقول ابن الكردبوس : « فثبتها (يقصد طرطوشة) الله ودفع عنها وانصرف  
جميعهم خائباً منها » <sup>(١)</sup> .

وعقب وفاة المنذر بن المقتدر بن هود فى سنة ٤٨٢هـ / ١٠٨٩ - ١٠٩٠ م  
خلفه فى حكم لارده وطرطوشة ودانيه ابنه سليمان الملقب بسيد الدولة ، وكان لا  
يزال حدثاً صغير السن ، ولذا لم يتمكن من مباشرة أمور الحكم بنفسه ، فتولى  
الوصاية عليه بنو بيطر ، وهم من الأسر القوية التى اشتهرت بالحزم وقوة  
النفوذ <sup>(٢)</sup> . غير أن بنى بيطر لم يستطعوا الصمود فى مواجهة غارات السيد  
القنبيطور المتوالية على أراضى بنى هود فى طرطوشة ولارده وغيرها من مناطق  
شرق وشمال شرق الأندلس التى عاث فيها فساداً ونهباً وتخريباً ، مما اضطر  
سليمان بن هود (سيد الدولة) إلى طلب حمايته مقابل اتاة سنوية يدفعها  
للقنبيطور أسوة بما فعله جيرانه من ملوك الطوائف بتلك المنطقة <sup>(٣)</sup> .

(١) انظر : ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ١٠٠ :

H. Miranda, op.cit., t. II, p. 45

(٢) عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٩٠ :

H. Miranda, op.cit., t. II, p. 38,

Primera cronica General de Espana, t. II, p. 562 & M. Pidal, la (٣)

Espana del Cid, Vol. I, Madrid, 1947, pp. 386 - 389, 414 - 416 &

H. Miranda, op.cit., t. III, p. 38

ويشير ابن عذارى الى أن سيد الدولة بن هود حاول التخلص من نفوذ القنبيطور وتسلمه ، فاشترك بقواته مع بعض أمراء شرق الأندلس ضمن الجيش المرابطى الذى زحف فى سنة ٤٨٨هـ / اواخر ١٠٩٤م لنجدة بلنسية عقب سقوطها فى يد القنبيطور (سنة ٤٨٧هـ / ١٩٠٤) ، ولكن محاولته اخفقت ، ومنى المسلمون بالهزيمة فى موقعة كوارت (Cuart) أمام جيش القنبيطور وحليفه صاحب ارغون (١) .

وظلت طرطوشة تحت حكم ابن هود إلى أن استولى عليها المرابطون هـ ولاردة والسهلة (سهلة بنى رزين أو شنتمية الشرق) وألبون وغيرها من أعمال الشجر الأعلى ، ولذلك بعد افتتاحهم لبلنسية ، واستردادهم لها من أيدي النصارى الاسبان فى سنة ٤٩٥هـ / ١١٠٢م (٢) ، وأنقذوا بذلك دولة الاسلام فى الأندلس من سقوط حتمى فى أيدي النصارى غير أن طرطوشة لم تلبث أن سقطت نهائياً فى أيدي النصارى الإسبان فى سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨ - ١١٤٩م ، عندما استولى عليها رامون برنجير الرابع (Ramon Berenguer IV) صاحب برشلونه بمساعدة حلفائه فرسان الداوية الصليبيين واساطيل بيزه وجنوه (٣).

(١) راجع التفاصيل حول موقعة كوارت فى : ابن عذارى ، نفسه ، ج ٤ ، نشر احسان عباس ، طبعة بيروت ، ص ٣٤ - ٣٦ ؛ كمال ابو مصطفى ، تاريخ مدينة بلنسية ، ص ١٤٩ - ١٥١  
Pidal, op. cit, Vol, 1, p 506 - 507.  
(٢) عن استرداد المرابطين لمدينة بلنسية انظر التفاصيل فى : ابن بسام ، نفسه ق ٣ ، مجلد ١ ، ص ١٠٠ - ١٠٢ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، ج ٤ ، ص ٤١ ، ابن الكردبوس ، نفسه ص ١١٠ ، كمال ابو مصطفى ، نفسه ، ص ١٦٢ - ١٦٤ ؛

(Pidal, op.cit, Vol, II, p. 581 & Miranda, op.cit. t., III, p. 7 & G Remiro, Historia de Murcia musulmana, Zaragoza 1905, pp 144 - 145.

وجدير بالذكر هنا ان المصادر لم تشر الى تاريخ دخول المرابطين مدينة طرطوشة ، ولكنى أرجح أن ذلك تم بعد سنة ٤٩٥هـ (بعد استردادهم لبلنسية من النصارى) أى فى حوالى سنة ٤٩٧هـ ، لأن استيلاء المرابطين على البوننت كان فى سنة ٤٩٦هـ ، وتلتها السهلة فى سنة ٤٩٧هـ ، وعقب سقوط الطهله انفتح الطريق أمام المرابطين للزحف نحو طرطوشة ولاردة .

(٣) ابن الأبار ، الحلة السهلة ، ح ٢ ، تحقيق حسين مؤنس ، الحاشية ص ٢٣٣ ، المراكشى ، المعجب ، ص ١٢٤ ، ٤هـ .

(٤)

## جوانب من حضارة طرطوشة في العصر الاسلامى

### أولاً : المنشآت المعمارية :

أشارت المصادر الجغرافية إلى ازدهار عمران طرطوشة في العصر الإسلامى ، وأشاد بذلك العديد من الجغرافيين المسلمين ، فذكروا انها مدينة عامرة ذات خطة فسيحة وأسواق وفيرة وعمارات وضياع وحصون كثيرة <sup>(١)</sup> . ويلاحظ أن المدن البحرية مثل طرطوشة ودانية والمرية وغيرها من مدن الساحل الأندلسى كان يغلب على عمارتها الطابع الحربى ، فكانت مدنا مسورة ومزودة بالقصاب والقلاع كما كانت تزود عادة بدار صناعة بحرية ، وبالإضافة الى ذلك كانت تزخر بالمنشآت المدنية كالمساجد والحمامات والفنادق وغير ذلك من المنشآت التى لا غنى عنها والتي تميز المدينة الإسلامية <sup>(٢)</sup> .

### (١) التحصينات :

#### أ - السور :

كان يحيط بطرطوشة سور قديم متقن البناء <sup>(٣)</sup> ، يغلب على الظن انه يرجع إلى العصر الرومانى ، ولكن من المرجح أن هذا السور تعرض للتهدم فى بعض أجزائه ، مما دفع ولاية الأمويين بطرطوشة إلى ترميمه ، فيذكر العذرى أن سور طرطوشة حدث به تشلم فى أوائل عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر فقام محمد بن

(١) الارديسى ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ٥٥٥ : الحميرى ، نفسه ، ص ١٩١ .

(٢) Maria J. Rubiera, La tafia de Denia, p 30

(٣) ابن غالب ، نفسه ، ص ٣٨٥ ، الإدرسى ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ٥٥٥ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١ .



شريط المولد المعروف بالطويل (صاحب وشقة وأعمالها بالشجر الأعلى) باصلاحه وترميمه فى سنة ٣٠١هـ/٩١٣م<sup>(١)</sup> ، إلا أن الخليفة الناصر لم يكتف بذلك ، وصمم على اعادة تشييده نظرا لأهمية ذلك الشجر فى مواجهة المماليك الاسبانية المسيحية ، فأصدر أوامره الى عبدالرحمن بن النظام والى طرطوشة (٣٢٨ - ٣٣١هـ) بتشيد السور ، ويصفه الحميري بأنه من صخر ، ويمتاز بالحصانة ، وقد تتبع المسلمون فى إعادة تشييده نفس التصميم الرومانى القديم<sup>(٢)</sup> .

واكتسبت طرطوشة بهذا العمل المهم حصانة ومنعه وقوة دفاعية ، وكان السور مزودا بطبيعة الحال بالأبراج القوية التى تنفتح فيها مزاغل على نحو ما هو مألوف فى الأسوار<sup>(٣)</sup> .

## ب - الأبواب :

وكان ينفتح فى السور عدة أبواب ، وكان عدد تلك الأبواب له صلة بمدى أهمية المدينة واتساع عمرانها وخطتها وعدد سكانها<sup>(٤)</sup> . وقد أشار الحميري إلى أن بسور طرطوشة أربعة أبواب<sup>(٥)</sup> ، غير أنه لم يمدنا بتفصيلات عن أسماء تلك الأبواب ولا إلى أى جهة كانت تنفتح ، وإن كان صاحب ذكر بلاد الأندلس

(١) العذرى ، نفسه ، ص ٦٦ .

(٢) الروض المعطار ، ص ٣٩١ .

(٣) عبدالله عنان ، الآثار الاندلسية الباقية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٩٣ ، محمد عبدالستار عثمان ، المدينة الاسلامية ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٨ ، ص ١٣٧ - ١٣٩ ؛

Torres Balbas, Ciudades Hispano - Musulmanas, t. I, Madrid, p. 520.

Torres Balbas, op.cit, t. II, pp. 603, 649 (٤)

(٥) الروض المعطار ، ص ٣٩١

المح إلى إحد أبوابها ويعرف بالباب الكبير ، كان يؤدي الى ساحل البحر <sup>(١)</sup> ومن المعروف ان تلك الأبواب كانت تغلق ليلا ، وحينئذ تصبح المدينة شبه منعزلة عن الخارج ، وكان المحتسب (صاحب السوق) يأمر البوابين بفتحها مبكرا ، ومنع خروج أى شخص منها فى ذلك الوقت المبكر ، لمنع اللصوص من الهرب بسرقاتهم إلى خارج المدينة <sup>(٢)</sup> .

### ج - القصبة :

كانت القصبة (القلعة) - عادة - مقر الوالى أو الأمير في العصر الإسلامى ، وكانت تقام غالبا فى مرتفع من الأرض غير بعيد عن النطاق العمرانى للمدينة حتى يتيسر لحاميتها الدفاع عنها ، وكانت قصبة طرطوشة تقع على أرض صخرية واسعة سهلة المرتقى ، وتطل على نهر إيره (ورد ذكرها فى المصادر الإسبانية باسم السدة Asuda أو Lazuda ، ولعل وقوعها على جبل مرتفع يجعل من الصعب حصارها ، وامتازت تلك القصبة بروعة البناء والحصانة <sup>(٣)</sup> وأشار إلى ذلك الشاعر ابن ادريس الجزيرى عندما اعتقل بها في عهد المظفر عبدالملك بن المنصور بن أبى عامر <sup>(٤)</sup> .

(١) انظر ، مؤلف مجهود ، نذكر بلاد الاندلس ، ص ٧٤ .

(٢) ابن عبدون ، رسالة اندلسية فى القضاء والحسبة ، نشر ليفى بروفنسال ، المعهد الفرنسى ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ، ص ٣٣ .

(٣) Balbas, op cit t. II, p. 60-1

(٤) انظر : الرازى ، وصف الاندلس ، نشر ليفى بروفنسال فى : Al Andalus, p 72 .  
الارديسى ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ٧٣٤ ، الحميرى ، نفسه ص ٣٩١

M J Rubiera op cit p 26

(٤) تذكر المصادر ان الوزير الكاتب عبدالملك بن ادريس الخولامى المعروف بالجزيرى نفى الى طرطوشة واعتقل بقصبتها فى عهد الحاجب المظفر عبدالملك بن أبى عامر ، وظل معتقلا فى أحد ابراحها إلى أن وافته المنية ، وقد وصف لنا الجزيرى ذلك المعقل أو الحصن الذى اعتقل فيه بقوله

وبذكر الفتح بن خاقان أن تلك القصبية كانت تحتوى على بعض الأبراج (١) ،  
التي تدعم دورها الدفاعى وقد تبقت بعض آثار من سورها فى الوقت  
الحاضر (٢)

#### د - دار الصناعة (بالاسبانية) Atarazana

يتضح من إحدى الوثائق الاسبانية المسيحية أن دار صناعة طرطوشة كانت  
تقع على مقربة من النهر ، ويجوارها كان يقع الحى المعروف بنفس الاسم اى حى  
دار الصناعة darsena أو At - tarsana (٣) .  
ومن الملاحظ ان المصادر - سواء التاريخية أو الجغرافية - لم يرد بها اشارة

---

== فى رأس أحرد شاهق عالى الذرى	ما بعده لمؤمل من مبصر
بهوى السد كل أحرد باعب	وتهب فيه كل ربح صرصر
ويكاد من برقى إليه مرة	من دهره يشكر انقطاع الأبهر

انظر ابن خاقان ، مطمح الانفس ، الطبعة الاولى ، القسطنطينية ، سنة ١٣٠٢ هـ ، ص ١٣  
، الحمري ، نفس ، ص ٣٩١ ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٢١  
(١) مطمح الانفس ، ص ١٣ ، المقرئ ، نفس ، ج ٢ ، ص ١٢١  
(٢) عنان ، الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٩٣ ويذكر الاستاذ عبدالله عنان أن قصبية طرطوشة  
المسماة عند الإسبان (Azuda) هى الآن عبارة عن مجموعة كبيرة من الاطلال من أسوار ويقايا  
أبراج تشغل مساحة كبيرة فوق ربوة عالية تقع وسط المدينة وتشرف من الخلف على نهر ابره ،  
ويضيف الاثريون الاسبان ان القصبية ترجع الى العصر الرومانى غير أنها تعرضت للاهمال  
والتخريب فقام المسلمون بتجديدها وتعميرها واستخدموها خلال فترة الحكم الاسلامى .  
انظر (عنان ، نفس المرجع السابق ، ص ٩٣)

(٣) Joaquim Miret Y Sans, La Carta de Franquicias otorgada por el Conde de Barcelona, en Homenaje a E. Codera, Zaragoza 1904 p 202

الى العصر الذى أسست فيه دار صناعة السفن بطرطوشة <sup>(١)</sup> ، غير أن اللوحة التذكارية لدار الصناعة ما زالت محفوظة فى الجدار الخارجى الشمالى من كاتدرائية طرطوشة ، وتفيدنا بأن الخليفة عبدالرحمن لناصر هو الذى أمر ببنائها فى سنة ٣٣٣ هـ / ٨٣٥ م) ونطالع فى النقش النص التالى ( بسمله ..... أمر بإنشاء هذه الدار عدة للصناعة والمراكب عبدالله عبدالرحمن أمير المؤمنين أيدى الله ، فتم بناؤها على يدى قائده وعبدى عبدالرحمن بن محمد بعون الله ونصره فى سنة ثلث وثلثين وثلث مائة . وكتب عبدالله بن كليب ) <sup>(٢)</sup> .

ومن المرجح ان دار صناعة طرطوشة لم تكن قاصرة على إنشاء السفن بل كانت تقوم أيضا باصلاح سفن الأسطول الإندلسى <sup>(٣)</sup> ، وما ساعد على قيام دار الصناعة بها وفرة أخشاب الصنوبر بغاباتها ، وهى أخشاب صالحة لصناعة السفن ، لطولها وغلظها وعدم تأثير السوس فيها <sup>(٤)</sup> ، وكان يصنع من تلك الأخشاب ، أيضا الصواري وقوائم الأشرعة للمراكب <sup>(٥)</sup> . ويبدو إن دار صناعة طرطوشة كانت تشغل مساحة كبيرة ، وموضعا مهما من المدينة ، حيث كان يحيط بها سبعة عشر برجاً مهمتها توفير الحماية لها وكانت تلك الأبراج تربط بين بدنات السور لتدعمه متخذة ما يشبه الدائرة المغلقة <sup>(٦)</sup> .

(١) الإدريسى ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ٥٥٥ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١ .

(٢) Levi-provencal, Inscriptions arabes d'Espagne, Paris, 1931, pp. 83-84

(٣) أرسلان ، الحلل السندسية ، ج ٣ ، ص ٨٠ ؛ Levi-provencal, op.cit., p. 84 ؛ عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٣٦ .

(٤) الادريسى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ ، ٧٣٤ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١ .

(٥) الادريسى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ ، ٧٣٤ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١ .

Forbes Balbas Atarzanias Hispano musulmanas, al Andalus Vol. XI, Madrid, 1946, p. 181 - 182

T Balbas , atarazanas, p 181

(٦)

ويشير الباحثون الإسبان إلى أن دار صناعة طرطوشة تعرضت للاهمال بعد الاسترداد المسيحي لها سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م ، وما يدل على ذلك أن رامون برنجير الرابع (Ramon Berenguer IV) صاحب برشلونة منح يهود طرطوشة تصريحاً ببناء ستين منزلاً في موضع دار الصناعة في سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م (١) .

(١) هم المنشآت الدينية :

أ - جامع طرطوشة :

أمر ببناء هذا الجامع الخليفة عبدالرحمن الناصر في سنة ٤٣٥هـ/٩٥٥ - ٩٥٦م وكان بيت الصلاة فيه يتكون من خمس بلاطات ، وكان صحن هذا الجامع فسيحاً (٢) .

وكانت تعقد في هذا الجامع حلقات للتدريس ، فقد ذكر ابن الأبار أن حسين ابن محمد الانصارى (ت سنة ٥٦٣هـ) كانت له حلقة عظيمة بجامع طرطوشة يعلم فيها القراءات أي تجويد القرآن الكريم (٣) .

ومن المرجح أن جامع طرطوشة كان يقع في وسط المدينة ، بدليل أن الكنيسة العظمى أو الكاتدرائية La Catedral التي بنيت مكان الجامع ، تشغل وسط المدينة (٤) .

(١) Balbas, op.cit., p. 182.

(٢) الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١ ، توريس بالباس ، الأبنية الإسبانية الإسلامية ، ترجمة عليه العنانى ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، سنة ١٩٥٣ ، ص ١٠١ ، ٢٠٢ ، - ١٠٣ .

(٣) التكملة لكتاب الصلة ، طبعة عزت العطار الحسينى ، القاهرة سنة ١٩٥٦ ، ص ٢٧٥ ، ترجمة رقم ٧٣٥ .

(٤) عنان ، الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٩٢ .

## ب - الرباطات أو الأ : :

شاع فى بلاد المغرب والاندلس بناء الأريطة التى يربط فيها بعض المسلمين من أهل التدين والصلاح وحب الجهاد ، من أجل التعبد وتدرىس العلوم الدينية وكذلك الجهاد فى سبيل الله وحراسة سواحل المسلمين ، علاوة على أنها كانت مأوى للغرباء والمسافرين . وكانت تلك الأريطة تنتشر عادة بالمناطق الساحلية لتأمين تلك السواحل وانداز أهلها بأى خطر قد يتهددهم <sup>(١)</sup> . ومن أمثلة تلك الأريطة فى طرطوشة " رابطة كشكى التى يحدد الزهرى موقعها بأنها على مقربة من طرطوشة <sup>(٢)</sup> ، وكذلك رابطة كشطالى ، وكانت تقع بساحل طرطوشة على مسافة تسعة عشر ميلا قرب نهر إبره ، ويصفها الإدريسى بأنها رابطة حصينة منيعة على ساحل البحر الشامى ، وكان يربط فيها قوم أخيار <sup>(٣)</sup> .

## ٣ - المنشآت المدنية :

لم يرد فى المصادر عن المنشآت المدنية سوى اشارة موجزة أوردها الحميرى ، فيذكر أن بطرطوشة أربعة حمامات <sup>(٤)</sup> . ولا شك أن الحمام كانت له أهمية كبيرة فى الحياة الاجتماعية بالاندلس حيث كان مركزا للمجالس المرححة كما كان

---

(١) سعيد عاشور وسعد زغلول عبد الحميد ومختار العبادى ، دراسات فى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، الكويت ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ ؛ مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٩٠ ، وما يليها ، كمال أبو مصطفى ، مالقة الاسلامية فى عصر دويلات الطوائف (دراسة فى العمران والحياة الاجتماعية ) ، نشر دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ، سنة ١٩٩٠ ، ص ٣٤ ،

(٢) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ١٠٣ .

(٣) الادريسى ، نزهة المشتاق ، ج ٢ ، ص ٥٥٥

(٤) انظر : الروص المعطار ، ص ٣٩١ .

يُعد فرصة للنساء للتمتع بحرية نسبية والتسرية عن أنفسهن علاوة على ارتباطه بالطهارة والوضوء من أجل الصلاة (١) .

أما أسواق طرطوشة : فقد ألمحت المصادر الجغرافية الى كثرة أسواقها وائتعاش الحركة التجارية فيها ، وكانت الأسواق تقع - غالبا - عند رجة الجامع كذلك يشير الحميرى الى وجود سوق آخر كان يقام بصفة دائمة بالربض القبلى (٢) .

#### ٤ - ظاهري المدينة :

##### ١ - المصلى

وهي التي يطلق عليها ايضا في المصطلح المغربي والاندلسي اسم «الشرعة» ، وقد أشار الحميرى الى وجود مصلى بطرطوشة وحدد موقعها في الجهة الشمالية الغربية من القصبة ، فيقول : والمصلى والمدينة في غرب القصبة وجوفها ... » ، والمصلى كانت الموضع الذي يصلى فيه المسلمون صلاة العيدين وصلاة الاستسقاء عندما يجتاح البلدة قحط أو محل وينعدم نزول المطر ، وهي تقع عادة خارج أبراب المدينة في موضع فسيح يستوعب جميع المصلين من سكانها (٣) .

(١) بالباس ، الأبنية الاسبانية الاسلامية ص ١٠٨ - ١٠٩ : عبدالعزيز سالم ، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢) الادريسي ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ٥٥٥ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١ .

(٣) T. Balbas, Ciudades Hispano - musul., t. 1, p. 219.

## ٢ - الأرياض :

ويقصد بها المناطق المأهولة بالسكان بظاهر المدينة أو خارج نطاق أسوارها <sup>(١)</sup> ، ويفيدنا الحميري بوجود ريتين فى طرطوشة ، أحدهما فى الجهة الشمالية ، والآخر فى جنوب المدينة والقصبة على مقربة من السور <sup>(٢)</sup> . ومن الجدير بالذكر أن سور طرطوشة كان يحيط بأرياضها ، عكس الكثير من المدن الأندلسية <sup>(٣)</sup> .

ومن المرجح أن الرين القبلى أو الجنوبي الواقع على مقربة من القصبة كان أكثر انتعاشا وازدهارا بالسكان من الرين الشمالى ، ويؤكد ذلك قول الحميري بأن سوق طرطوشة كان يقام بالرين القبلى <sup>(٤)</sup> . وتذكر الباحثة الاسبانية روبيرا Rubiera أن تلك الأرياض كان يستقر بها أغلب الأحياء المهاجرون الى المدينة من أهل المدن أو المناطق الأخرى <sup>(٥)</sup> ، وفى تصورى أنها كانت مخصصة لأرياب الحرف التى تقتضى أن تكون حرفهم خارج نطاق أسوار المدينة كالفخارين والخشابين والزجاجين والديباغين وما إلى ذلك .

## ٣ - المقابر :

كانت المقابر تقع خارج أسوار المدينة على مقربة من الطرق المؤدية الى الأبواب الرئيسية لسور المدينة <sup>(٦)</sup> . ويلاحظ إنه لم ترد لنا عن مقابر طرطوشة

(١) T. Balbas, Ciudades, T. 1, pp. 170 - 171.

(٢) Balbas, Ciudades, t. 1, p. 188 : الروض المعطار ، ص ٣٩١ .

(٣) الحميري ، نفسه ، ص ٣٩١ .

(٤) الحميري ، نفسه ، ص ٣٩١ .

(٥) Maria J. Rubiera, La taifa de Denia, 35.

(٦) انظر . التكملة ، ج ١ ، ص ٢٩٤ ، رقم ٧٩٦ .



سوى اشارة واحدة أوردها ابن الأبار عرضا فى سياق ترجمته لأحد علماء طرطوشة، فيذكر ان الفقيه خلف بن هانى العمرى توفى سنة ٤٠٨ هـ ودفن بمقبرة طرطوشة <sup>(١)</sup>.

#### تانيا : عناصر المجتمع والنشاط الاقتصادى :

توطنت فى طرطوشة - مثل غيرها من المدن الأندلسية الأخرى فى العصر الاسلامى ، عناصر شتى من السكان : العرب والبربر والصقالبة والمولدين وأهل الذمة من المستعربين (أو نصارى الذمة) واليهود ، ومن المرجع أن اعداد البربر كانت قليلة بتلك المناطق الشجرية فى شمال شرق الاندلس لأن العصبية البربرية كانت تتركز فى جنوب الاندلس قرب موطنها الاصلى بالعدوة المغربية ، ويتضح من المصادر أن الكثير من العرب سكنوا طرطوشة خصوصا من الأنصار والفهرين واللخميين وقبيلة بلى وغيرهم . أما اليهود ونصارى الذمة الذين عاشوا فى ظل الحكم الاسلامي فكانا يقيمون غالبا فى أحياء خاصة بهم وشاركوا بايجابية فى النشاط الاقتصادى داخل المدينة الأندلسية وخصوصا فى مجال التجارة. ويلاحظ وجود جالية يهودية كبيرة بطرطوشة حسبما تشير المصادر الاسبانية بدليل سماح الكونت رامون برنجير الرابع صاحب برشلونة لليهود ببناء مساكن لهم فى قسم من

---

(١) راجع : الضبى ، بغية الملتبس ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٦٧ ، ص ٢٦٦ ، ابن عبد الملك المراكشى ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق ٢ ، تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة ١٩٦٥ ، ص ٦٧١ ترجمة رقم ١٢٥٦ : ابن الأبار ، الحلة السيرا ، ج ١ ، تحقيق حسين مؤنس ، ص ٢٣٦ : التكملة ، ج ١ ، ص ٤١١ - رقم ١١٦٤ ، ج ٢ ، ص ٤٦٥ ، رقم ١٣٦٨ : ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٢٤ رقم ٣١٤ ؛

David Wasserstein, The rise and fall of the party Kings, p. 163 & Ben Aboud, Asabiyya and Social relations in al-Andalus. Hesperis, XIX, 1980, p. 30 - 31.

دار الصناعة <sup>(١)</sup> . ومن جهة أخرى تمتع أهل الذمة فى الاندلس بصفة عامة بالتسامح والعدل من جانب السلطات الاسلامية ، فيتضح من وثائق الاحكام الكبرى ان النصارى واليهود كان بوسعهم فى ظل الحكم الإسلامى ان يمتلكوا العبيد ، كما كان لهم دور العبادة الخاصة بهم ، والتى يحق لهم ترميمها واصلاحها دون القيام ببناء دور عبادة جديدة <sup>(٢)</sup> .

اما فيما يختص بالنشاط الاقتصادى لسكان طرطوشة فيأتى فى المقدمة : النشاط التجارى ، فالمصادر الجغرافية تشير الى أن طرطوشة أحد أبواب البحر ، يسلكه التجار الى كل جهة <sup>(٣)</sup> ، فكان ميناء طرطوشة يستخدمه التجار للابحار منه الى سائر الانحاء سواء الى الغرب أو المشرق أو بلاد الفرنجة من أجل التجارة <sup>(٤)</sup> ، كما كان يصدر عن طريقه خشب الصنوبر الذى اشتهرت به طرطوشة ، ويستخدم فى العديد من الأغراض <sup>(٥)</sup> .

وجدير بالاشارة أن موقع طرطوشة البحرى وقربها النسبى من الممالك الاسبانية المسيحية وبلاد الفرنجة كان له اثر كبير فى ازدهار تجارة الرقيق بها ، فكانت تتوفر فى معظم المدن الاندلسية أسواق خاصة للرقيق يديرها دلالون أو

(١) I' Balbas, Atarazanas, p. 182 & David Wasserstein, op cit, p. 190. (١) 230.

(٢) ابن سهل الأندلسى ، وثائق فى احكام قضا ، أهل الذمة فى الاندلس مستخرجة من مخطوط الاحكام الكبرى ، تحقيق محمد خلاف ، الكويت سنة ١٩٨٣ ، ص ٨ ، ٩ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٧٧ ، ٨٠ : هنرى بريس ، الشعر الاندلسى فى عصر الطوائف ، ترجمة الطاهر مكى ، دار المعارف سنة ١٩٨٨ ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٣) ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٦ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مجلد ٤ ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٣ .

(٤) الرازى ، نفسه ، نشر ليفى بروفنسال فى : Al Andalus, p 72.

(٥) الادريسى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١ .

سماسرة ، ويشترى عليها المحتسب منعاً للغش والتدليس فى تلك التجارة<sup>(١)</sup>.

وكان لتوافر المياه بطرطوشة أعظم الأثر فى اشتغال فئة من أهلها بالزراعة فكانت البساتين والضياع تنتشر على ضفاف نهر إبرة ، كما كان سفح جبل طرطوشة يكثر به الثمار من كل نوع ، علاوة على توفر المراعى به<sup>(٢)</sup> . وبالإضافة الى ذلك اشتغل بعض سكان طرطوشة بقطع الاخشاب من الغابات التى تنمو بجبال طرطوشة لا سيما اخشاب الصنوبر والبقس والساج<sup>(٣)</sup>.

وكان لموقع طرطوشة الجغرافى على النهر وقربها من البحر أثره فى اشتغال بعض الأهالى بحرفة صيد الاسماك ، فالقزوينى يذكر ان بواديها الحوت (أى السمك) الطيب من البورى والشولى (وهو من الاسماك البحرية التى تهجر الى الانهار) ، كذلك كان يخرج من بحر طرطوشة الى البر حيوان بحرى يقومون بصيده ويسمى السمرور (وهو يشبه النمى) ، وكان يتميز بفرائه الذى لا يقل نفاسه عن فراء الثعلب<sup>(٤)</sup> .

ومن حيث الصناعات ؛ اشتهرت طرطوشة بصناعة السفن والالات الحربية

(١) انظر : السقطى ، كتاب آداب الحسبة ، نشر كولان وليفى بروفنسال ، باريس سنة ١٩٣١ ، ص ٤٨ - ٤٩ ؛ ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ٩٣ .

(٢) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٨٣ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٤٤ - ٥٤٥ .

(٣) الادريسى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ ، القزوينى ، نفسه ، ص ٥٤٥ ، الحميرى ، نفسه ص ٣٩١ .

(٤) القزوينى ، نفسه ، ص ٥٤٥ ، المقرئ ، نفع الطيب ، ج ١ ، تحقيق يوسف البقاعى ، ص ١٨٧ ، كمال ابو مصطفى ، مصادر الثروة الاقتصادية فى الاندلس ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، نوقشت بأداب الاسكندرية ، سنة ١٩٨٥ ، ص ١٨٦ ، ٢٥ ؛

J. Vallve, La industria en - Al-Andalus, Al-Qantara Vol. 1, Madrid, 1980, p. 230.

مثل الأبراج والسلالم ، كما ذاعت شهرتها بصناعة الأواني الخشبية والظروف<sup>(١)</sup> وصناعة التحف العاجية التى كانت تستخدم فى القصور لحفظ الدهون وقوارير العطور والحلى وقاتاز التحف الأندلسية بجمال زخارفها ، وتناسق أشكالها ، وتدل علي براعة المسلمين فى تلك الصناعة<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة التحف العاجية التى صنعت بطرطوشة: صندوق من العاج محفوظ بكائدرائية طرطوشة ، وهو مربع الشكل ، له غطاء متموج ، ومصنوع من الخشب المغطى بقشرة ، ومطعم بالعاج فى الأرضية ، ويزدان بصور مرصعة ، ومن الكلمات التى نقشت على الصندوق كلمتى : «اليمين والاقبال»<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً - مسكوكات طرطوشة الإسلامية فى عصر الطوائف :

نستدل من النقوش الكتابية على العملات التى سكّت فى طرطوشة فى عصر دويلات الطوائف بما تحمله من القاب وأسماء وتواريخ بأن دار السكة بطرطوشة أصدرت دراهم فضية تحمل اسم مقاتل الصقلبي ابتداء من سنة ٤٣١هـ

(١) الادريسي ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ ، الزهرى ، نفسه ، ص ١٠٣ ، القزويني ، نفسه ، ص ٥٤٥ .

(٢) جومث مورينو ، الفن الإسلام فى إسبانيا ، ترجمة لطفى عبداليدع وعبدالعزیز سالم ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٣٥٥ ، عبدالعزیز سالم ، صور من المجتمع الاندلسى فى عصر الخلافة وعصر الطوائف من خلال النقوش المحفورة على العاج ، مجلة المعهد المصرى بمديريت سنة ٧٦ - ١٩٧٧ ، ص ٦١ ، عبدالعزیز مرزوق الفنون الزخرفية فى المغرب والاندلس ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٨٢ .

(٣) Jose Ferrandis, Marfiles arabes de occidente, t II, Madrid, 1940, pp 121 - 122

، وفى عام ٤٣٨هـ ظهر لقب معز الدولة على احدى عملاته ، ثم اضيف له لقب سيف الملة بعد ذلك التاريخ <sup>(١)</sup> . وعثر على دراهم تحمل اسماء اخرى مثل : مسلم (٤٣٩ - ٤٤٠هـ) وعبدالمك بن رضى (٤٤١ - ٤٤٣هـ) ، ومن المعتقد انها اسماء المشرفين على دار السكة بطرطوشة . وآخر تاريخ لدراهم تحمل اسم مقاتل : درهم نقش عليه تاريخ سنة ٤٤٥هـ . ومن الجدير بالذكر انه لم يعثر على دنانير ذهبية سكت بطرطوشة ، وتحمل اسم مقاتل أو غيره من أمراء الطوائف الصقالبة <sup>(٢)</sup> .

ولدينا عملات تحمل اسم يعلى الصقلبي ولقب سيف الملة سكت فى أعوام ٤٤٧ ، ٤٤٨ و ٤٥٠ . وفى هذا العام الأخير (سنة ٤٥٠هـ) أضيف الى لقبه : لقب معز الدولة مثل سلفه مقاتل <sup>(٣)</sup> .

أما عملة الفتى نبيل الصقلبي (آخر امراء الصقالبة بطرطوشة) فتبدأ على الأرجح منذ سنة ٤٥١هـ ، اذ لم يتيسر قراءة النقش الذى يحمل تاريخ الضرب <sup>(٤)</sup> .

---

(١) أمثلة الدراهم التى سكت بطرطوشة فى عهد مقاتل : درهم نقش على الوجه : (الدرهم بطرطوشة سنة أحدا وثلثين وأربعمئة) وعلى الظهر : (معز الدولة مقاتل) .

(Codera, op.cit, p. 182 & Prieto Y Vives, op.cit., p. 188).

Codera, op.ct, p. 163 & Prieto Y Vives, op.cit., p. 122. (٢)

Codera, op.ct, p. 163 & Prieto Y Vives, op.cit., p. 122 (٣)

ومن أمثلة دراهم يعلى الصقلبي درهم نقش على الوجه :

(يعل الدرهم برطوشة سنة خمسين وأربعمئة) وعلى الظهر : (معز - الامام هشام - الدولة) .

Codera, op.ct, p. 163 & Prieto Y Vives, op.cit., p. 190

Prieto Y Vives, op.cit, p. 191. (٤)

ومن الملاحظ أن عملات الأمراء الصالبة بطرطوشة كانت تحمل اسم الخليفة هشام المؤيد ، مما يثبت ان حكام طرطوشة من الفتيان الصقالبة كانوا أوفياء لمولاهم وسيدهم هشام المؤيد ، ودانوا له بالتبعية الإسمية كما سبقت الإشارة.

وقد قام بنود هود أيضا بسك عملة لهم فى طرطوشة ودانية منذ سنة ٤٧٥هـ ، وهى تحمل اسم الحاجب المنذر بن هود الملقب بعماد الدولة ، كذلك قام ابنه سليمان الملقب بسيد الدولة بسك عملة له فى طرطوشة ابتداء من سنة ٤٨٢هـ (١) .

#### رابعاً: الحركة العلمية :

ازدهرت الحركة العلمية فى طرطوشة فى عصر الطوائف رغم حالة التمزق وعدم الاستقرار السياسى التى عانت منها مثل غيرها من مدن الأندلس الأخرى ، ولعل هذا الازدهار يرجع الى استقرار الاوضاع السياسية فى طرطوشة لبعدها عن مسرح الفتن والقلقل التى طحنت موسطة الأندلس وقرطبة على وجه الخصوص .

ويمكن أن نبرز دور علماء طرطوشة فى الحياة الفكرية فيما يلى :

(١) ومن امثلة دراهم سيد الدولة بن هود : درهم نقش على الوجه: (لا الله الا الله محمد رسول الله ) وعلى الظهر : (بسم الله ضرب هذا الدرهم بطرطوشة فى ....  
(يرجع سنة ٤٨٢ الحاجب سيد الدولة سليمان)

Codera, Ibid, p. 183 - 184 & Prieto Y Vives, Ibid, p. 130.

## أ - علم القراءات :

اشتهر فى طرطوشة العديد من العلماء الذين تخصصوا فى علم القراءات أو ما يسمى بعلم تجويد القرآن ، منهم : محمد بن حسين الانصارى الطرطوشى الذى رحل إلى سرقسطة وتصدر للاقراء بجامعة سنة ٥٠٨ هـ <sup>(١)</sup> ، وخلفه فى هذا العلم ابنه الفقيه المقرئ حسين بن محمد الانصارى الطرطوشى الذى كان من المقرئين المجودين ، وتوفى سنة ٥٦٣ هـ <sup>(٢)</sup> وكذلك أحمد بن محمد الهاشمى ، وأصله من طرطوشة ، وكان مقرئاً ماهراً ، غير أنه اضطر الى مغادرة بلده طرطوشة فى سنة ٥٥٤ هـ عقب تغلب النصارى عليها فنزل بطنسية ، وفيها توفى حوالى سنة ٥٧٥ هـ <sup>(٣)</sup> .

## ب - علم الحديث :

برز فى هذا العلم بعض علماء طرطوشة ، منهم خلف بن هانىء العمرى الذى حدث بطرطوشة وتوفى بها سنة ٥٠٨ هـ <sup>(٤)</sup> ، وخلفه فى رئاسة علم الحديث المحدث عبدالله بن أبى دليم الطرطوشى ، الذى روى عنه فى سنة ٤٠٥ هـ <sup>(٥)</sup> .

- 
- (١) ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ص ٤١١ ، ترجمة رقم ١١٦٤ .  
 (٢) الضبى ، نفسه ، ص ٢٦٦ ، ترجمة رقم ٦٤٤ ، ابن الأبار ، نفسه ، ج ١ ، ص ٧٥ رقم ٧٣٥ .  
 (٣) ابن الأبار ، نفسه ، ج ١ ، ص ٧٩ ، ترجمة رقم ٢١ ، ابن عبد الملك المراكشى ، الذيل والتكملة ، السفر الاول ، ق ٢ ، تحقيق محمد بن شريفه ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٤٦٩ رقم ٧٠٧ .  
 (٤) الضبى ، نفسه ، ص ٢٨٩ ، ترجمة رقم ٧١٩ ، ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ص ٩٤ ، ترجمة رقم ٧٨٦ .  
 (٥) ابن عبد الملك المراكشى ، الذين والتكملة بقية السفر الرابع ، تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة ١٩٦٤ ، ص ١٨٠ ، رقم ٣٣١ .

ومنهم ايضا : احمد بن مسعدة الطرطوشى الذى حدث ببلده ودرس ، كما  
تولى القضاء بها ، وتوفى سنة ٥٢٣ هـ (١) .

### ج - الفقه :

تحفل كتب التراجم بعدد كبير من فقهاء طرطوشة الباررين نذكر منهم : عبيد  
الله بن القاسم بن خلف بن هانيء الطرطوشى الذى تولى القضاء ببلده وكان حيا  
فى سنة ٤٦٧ هـ (٢) ، والفقيه احمد بن سعيد بن مطرف المعروف بابن الصباغ  
الطرطوشى (كان حيا سنة ٤٦٤ هـ) (٣) ، ولعل من أبرز فقهاء طرطوشة فى ذلك  
العصر الفقيه ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى المعروف بابن أبى رندقة (ت  
بالاسكندرية سنة ٥٢٠ هـ) ، وكان بحق صاحب مدرسة فى الفقه المالكى ، وقد  
زار العديد من بلدان المشرق الاسلامى ثم استقر فى أواخر حياته بالاسكندرية  
وبها دفن ، ومن أبرز مؤلفاته فى الفقه : الكتاب الكبير فى مسائل الخلاف ،  
وكتاب شرح رسالة الشيخ أبى زيد القيروان ، وهى رسالة فى الفقه المالكى علاوة  
على مؤلفاته الشهيرة الأخرى مثل : كتاب سراج الملوك ، وكتاب الحوادث  
والبدع وغيرها (٤) .

(١) ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ص ٣٤ ترجمة رقم ٩١ .

(٢) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ٣٠٤ ترجمة رقم ٦٧١ .

(٣) ابن الأبار ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢١ ، ترجمة رقم ٤٧ .

(٤) راجع التفاصيل عن الفقيه الطرطوشى فى : ابن بشكوال ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٧٥ - ٥٧٦

رقم ١٢٦٩ ، أبو بكر الطرطوشى ، كتاب الحوادث والبدع ، تحقيق محمد الطالبي ، تونس سنة

١٩٥٩ ، مقدمه المحقق ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٤ ، تحقيق احسان عباس ، بيروت

سنة ١٩٦٨ ، ص ٢٧٥ ، ابن سعيد المغربى ، المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٢٤ رقم ٦١٣ ، المقرئ ،

أزهار الرياض ، ج ٣ ، طبعة الرباط سنة ١٩٧٨ ص ١٦٢ - ١٦٥ ، جمال الدين الشيال ، أبو

بكر الطرطوشى ، القاهرة ، سنة ١٩٦٨ ، عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة الاسكندرية ==



## • - الأدب والشعر واللغة :

برع العديد من أهل طرطوشة في الأدب والشعر ، وأبرزهم الوزير الكاتب أبو الربيع سليمان بن أحمد القضاعى الطرطوشى (كان حيا سنة ٤٢٠هـ) الذى يصفه ابن بسام بأنه من كتاب العصر المتصرفين فى النظم والنثر <sup>(١)</sup> ، وكذلك يوسف بن على الطرطوشى الذى امتدحه المقرئ بأنه «روض أدب لا تعرف الذواء (أى الذبول) أزهاره ...» <sup>(٢)</sup> ، أما فى مجال علوم اللغة فقد اشتهر منهم : محمد بن أحمد بن عامر البلوى الطرطوشى (ت بمصر سنة ٥٥٩هـ) ، وتنسب اليه كتب فى اللغة والأدب منها : «درر القلائد» ، وهو من أكبر كتبه ، وكتاب «حلية اللسان وبغية الانسان» ، علاوة على شغفه بالطب ، حيث ألف كتابا اسماه «الشفاء» <sup>(٣)</sup> .

## هـ - الجغرافيون والرحالة والمؤرخون :

نذكر من الرحالة والجغرافيين : ابراهيم بن يعقوب الاسرائيلى الطرطوشى ، وهو رحالة يهودى الاصل ، عاش فى القرن ٤ هـ / ١٠ م ، واعتمد عليه البكرى وآخرون فى مؤلفاتهم الجغرافية ، ويضيف د. مؤنس أن الرحالة ابراهيم الطرطوشى كتب رسالة الي الخليفة الحكم المستنصر وصف له فيها رحلاته في

---

== وحضارتها فى العصر الاسلامى ، ط ٢ ، دار المعارف ، سنة ١٩٦٩ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٤ ، جوثالث بالنيشيا ، تايخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ، سنة ١٩٥٥ ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(١) الذخيرة ، ق ٣ ، مجلد ١ ، ص ٤٩٩ ، ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(٢) نفع الطيب ، ج ٨ ، ص ٤٠٨ .

(٣) ابن الآبار ، التكملة ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ رقم ١٣٦٨ ؛ الحلة السيرا ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

- ١٠٢ -

بلاد الصقالبة وشرق أوروبا وكذلك ألمانيا - على الأرجح - فى عهد الامبراطور  
أوتو الكبير <sup>(١)</sup> ، ويرزمن علمائها فى التاريخ الأديب المؤرخ محمد بن احمد  
البلوى الذى تنسب اليه عدة كتب فى التاريخ ، ولكنها فقدت ، ولم تصل  
إلينا <sup>(٢)</sup> .

---

(١) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك الممالك ، تحقيق عبدالرحمن الحجي ، ص  
٨٠. حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس ، مجلة المعهد المصرى بميدريد ، ص  
٣٧٢ ٢٧٥ .  
(٢) ابن الابار ، التكملة ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ ، رقم ١٣٦٨ .

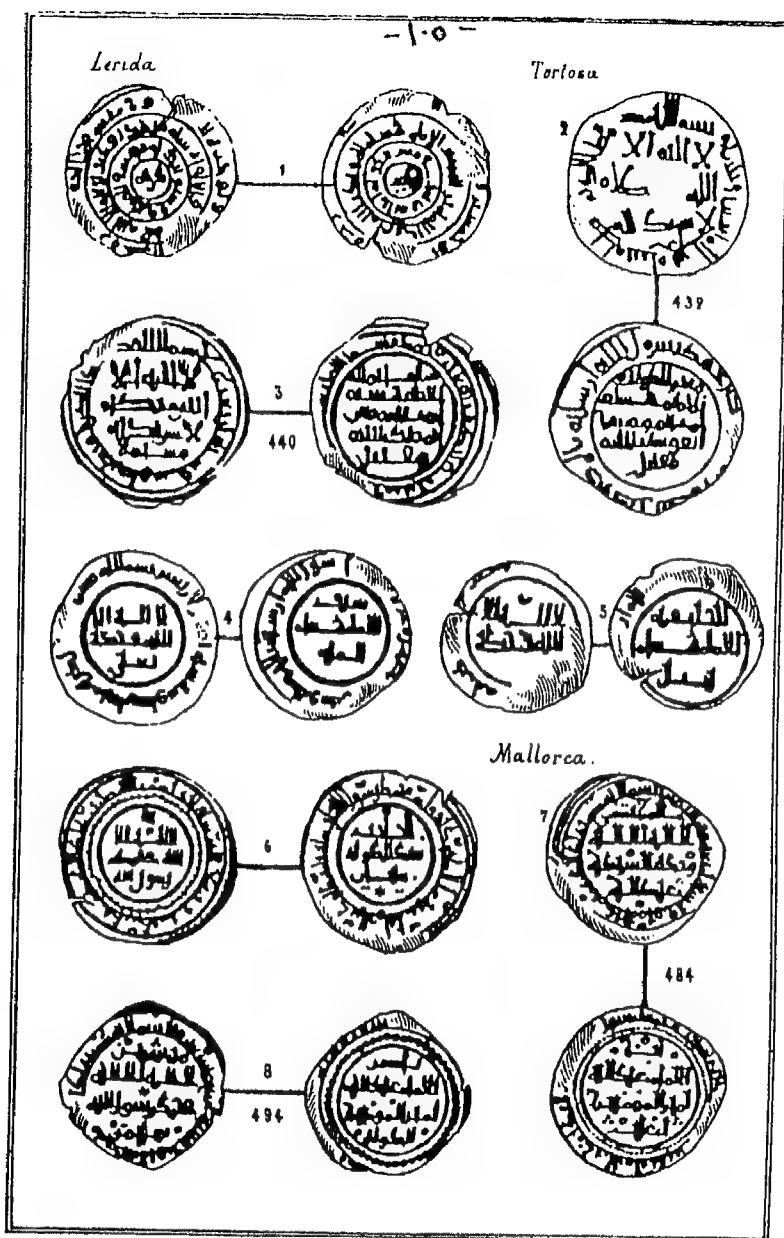
١ ٣

الخزائن والأشكال

- ١٠٤ -

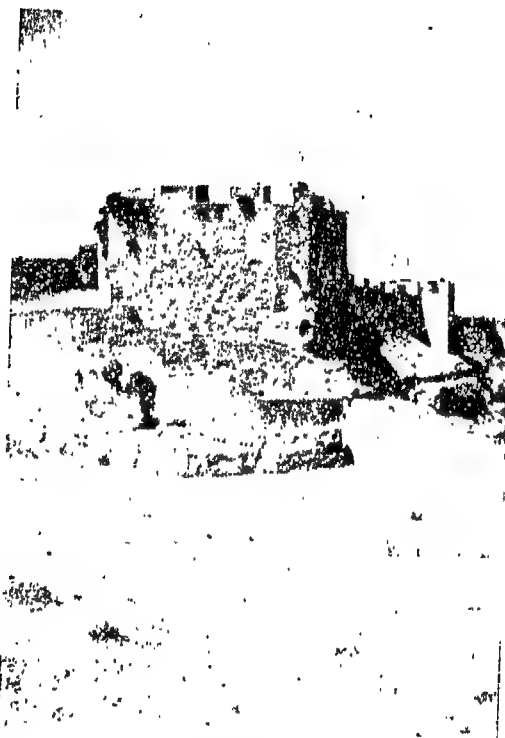


« خريطة شرق وشمال شرق الأندلس »  
عن: ليفر بروفينال



F. Codera, Lit.

نماذج من مستوكات طرطوشة في عصر الطوائف  
 Codera y Zaidin, Tratado de numismática



طرطوشة . أطلال القصة الأندلسية  
عن د عفاف ب الآثار الأندلسية المادية

## مصادر ومراجع البحث

### أولا : مصادر عربية قديمة :

- ١ - ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، نشر عزت العطار الحسينى ، القاهرة سنة ١٩٥٦ م .
- ٢ - ابن الأبار : الحلة السيرة ، تحقيق د. حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- ٣ - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، نشر محمد يوسف الدقاق ، طبعة بيروت ، ١٩٨٧ م .
- ٤ - الإدريسي : نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ٥ - ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت ، سنة ١٩٧٩ .
- ٦ - ابن بشكوال : الصلة ، مجموعة تراثنا ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- ٧ - ابن حيان : قطعة من كتاب المقتبس (تتعلق بالأمير عبدالرحمن الأوسط والأمير محمد) تحقيق د. محمود مكى ، بيروت سنة ١٩٧٣ .
- ٨ - ابن حيان : قطعة من كتاب المقتبس (تتعلق بالخلية عبدالرحمن الناصر) ج ٥ ، تحقيق شالميتا وكورينطى ، مدريد سنة ١٩٧٩ .
- ٩ - ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق عبدالله عنان ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، سنة ١٩٧٥ .
- ١٠ - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثانى (الخاص بالاندلس) ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ .

- ١١ - ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بيروت ، سنة ١٩٧١م.
- ١٢ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت ، سنة ١٩٧٠.
- ١٣ - ابن سعيد المغربي : المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د. شوقى ضيف ، طبعة دار المعارف ، بدون تاريخ .
- ١٤ - ابن سهل الاندلسى : وثنائق فى أحكام قضاء أهل الذمة مستخرجة من الأحكام الكبرى ، تحقيق محمد خلاف الكويت سنة ١٩٨٣م.
- ١٥ - ابن عبدون : رسالة فى الحسبة ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة ، نشر ليفى بروفنسال ، المعهد الثقافى الفرنسى ، القاهرة ، سنة ١٩٥٥ .
- ١٦ - ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، ج ٢ ، ٣ ، نشر كولان ، وليفى بروفنسال ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ١٧ - ابن غالب : قطعة من كتاب فرحة الانفس ، تحقيق لطفى عبدالبديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ج ٢ ، القاهرة سنة ١٩٥٥ .
- ١٨ - الحميدى : جذوة المقتبس ، مجموعة تراثنا ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦ .
- ١٩ - الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة ١٩٨٤م .
- ٢٠ - الطرطوشى : الحوادث والبدع ، تحقيق محمد الطالب ، تونس ، ١٩٥٩ .
- ٢١ - المقرئ : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق يوسف البقاعى ، بيروت ، سنة ١٩٨٦ .



- ٢٢ - مؤلف مجهول : ذكر بلاد الاندلس ، تحقيق لويس مولينا ، مدريد سنة ١٩٨٣ .
- ٢٣ - النويرى : نهاية الارب ، ج ٢٢ ، (الخاص بالمغرب والاندلس) نشر جاسبار ريميو ، غرناطة ، ١٩١٧ .
- ٢٤ - ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مجلد ٤ ، طبعة ، بيروت ، بدون تاريخ .

### ثانيا : مراجع عربية حديثة ومعربة :

- ١ - أحمد مختار العبادى (دكتور) : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ .
- ٢ - احمد مختار العبادى (دكتور) : الصقالبة فى اسبانيا ، نشر المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد سنة ١٩٥٣ .
- ٣ - حسين مؤنس (دكتور) فجر الاندلس ، الدار السعودية للنشر ، جدة ، ط ٢ سنة ١٩٨٥ .
- ٤ - سحر سالم (دكتوره) : مدينة قادس ودورها فى التاريخ السياسى والحضارى للاندلس فى العصر الاسلامى ، نشر مؤسسة سباب الجامعة ، الاسكندرية ، سنة ١٩٩٠م .
- ٥ - سعيد عاشور وسعد زغلول عبد الحميد ومختار العبادى (دكتور) : دراسات فى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، نشر ذات السلاسل ، الكويت ، سنة ١٩٨٥ م .
- ٦ - السيد عبدالعزيز سالم (دكتور) فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الاندلس ، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٥م .

- ٧ - السيد عبدالعزيز سالم (دكتور) : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، طبعة مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، سنة ١٩٨٤ .
- ٨ - كمال أبو مصطفى (دكتور) : تاريخ مدينة بلنسية الإسلامية حتى سقوطها في ايدي المرابطين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، نوقشت بآداب الاسكندرية ، ١٩٨١ م.
- ٩ - كمال أبو مصطفى (دكتور) : مالقة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف «دراسة في مظاهر العمران والحياة الاجتماعية» ، نشر دار المعرفة ، الاسكندرية سنة ١٩٩٠ م .
- ١٠ - ليوبولدو توريس بالباس : الأبنية الاسبانية الإسلامية ، ترجمة عليّة العناني ، مجلة المعهد المصري بمريد ، سنة ١٩٥٣ م .
- ١١ - ليفي بروفنسال : سلسلة محاضرات عامة في أدب الاندلس وتاريخها ، ترجمة عبدالهادي شعيرة ، بمطبوعات جامعة الاسكندرية ، سنة ١٩٥١ م.
- ١٢ - ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة د. عبدالعزيز سالم وصلاح الدين حلمي ، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٩ م.
- ١٣ - مانويل جومث مورينو : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة لطفي عبدالبديع وعبدالعزیز سالم ، نشر الهيئة العامة للكتاب ، بدون تاريخ .
- ١٤ - محمد عبدالستار عثمان (دكتور) : المدينة الإسلامية ، منشورات عالم المعرفة ، الكويت سنة ١٩٨٨ م.
- ١٥ - محمد عبدالله عنان : الآثار الاندلسية الباقية ، القاهرة سنة ١٩٥٦ م ،

١٦ - محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، نشر مكتبة الخانجي ، ط ٣ ، القاهرة ، سنة ١٩٨٨ .

ثالثا : المراجع الاجنبية :

- 1- AFIF Turk, El Reino de zaragoza. madrid. 1978.
- 2- Aguado Bleye: Manual de historia de Espana. Madrid, 1947.
- 3- Andrew Handler: The Zirid of Granada. Miami. 1974,
- 4- Codera Y Zadin' Tratado de numismatica arabioog Espanola. Madrid, 1879.
- 5- David Wasserstein: The rise and fall of the party kings, New Jersey, 1985.
- 6- Gaspar Remiro: Historia de Murcia musulmana Zaragoza, 1905.
- 7- Huici Miranda: Historia msulmana de Valencia Y su region, Valencia, 1969.
- 8 - Hussian Mones: Essai sur la chute du Califat Umayyade de cordoue, Le Caire, 1948.
- 9- Levi-Provencal: Histoire de l'Espagne musulmane. paris, 1950.

- 10- Levi - Provençal : Inscriptions arabes de l'Espagne,  
Paris, 1931.
- 11- Maria J. Rubiera: La taifa de Denia, Alicante, 1985.
- 12- Maria J. Viguera: Aragon musulmano, Zaragoza,  
1981.
- 13- Menéndez Pidal' La España del Cid, Madrid, 1947.
- 14- Prieto Y Vives: Los reyes de taifas, Madrid, 1926.
- 15- Torres Balbas: Ciudades Hispano- musulmanas,  
Madrid.
- 16- Torres Balbas: Atarazanas Hispano-musulmanas,  
Al-Andalus, XI, 1946.

## الباب الثالث

### خصائص سكندرية فى الأندلس

#### فيما بين القرنين الثالث والسادس للهجرة

تقديم :

أهتم بعض الباحثين بدراسة موضوع العلاقات التاريخية والحضارية بين مصر والأندلس ، وركزوا على التأثيرات المغربية والأندلسية فى مصر وفى الاسكندرية على وجه الخصوص ، سواء من الناحية الفنية أو الثقافية <sup>(١)</sup> .

وعلى هذا رأيت من الضروري دراسة التأثيرات التى حدثها الطرف الآخر وأعنى بذلك التأثيرات السكندرية فى الأندلس سواء فى المجال السياسى والحربى أو الفكرى والفنى أو التجارى ، وذلك من خلال تناول بعض الشخصيات السكندرية التى كانت تتردد على الأندلس للتكسب بالتجارة أو هاجرت إليه واستوطنته وأسهمت بنصيب وافر فى الحياة السياسية والحربية والحضارية .

وقد حددت الفترة الزمنية للبحث فيما بين القرنين الثالث والسادس للهجرة ، لأن الشخصيات السكندرية التى استوطنت الأندلس ، وأمكن حصرها من خلال

---

(١) من أهم تلك الدراسات (مرتبة زمنيا وفق تاريخ النشر) :

- ١ - سعد غلول عبد الحميد ، الأثر المغربى والأندلسى فى المجتمع السكندري ، ضمن بحوث مجتمع الاسكندرية عبر العصور ، مطبعة جامعة الاسكندرية سنة ١٩٧٥ .
- ٢ - أحمد مختار العبادي ، بعض مظاهر العلاقات التاريخية بين مصر والأندلس بحث ألقى فى مؤتمر الحضارة الأندلسية ، بكلية الآداب جامعة القاهرة ، مارس سنة ١٩٨٥ .
- ٣ - أحمد الطوخى ، مصر والأندلس ، نشر مركز الدلتا للطباعة ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٨ .
- ٤ - عبدالعزيز سالم ، التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامى فى مجال فنون العمارة والزخرفة ، بحث ألقى فى مؤتمر التبادل الحضارى بين شعوب البحر المتوسط ، الاسكندرية ، يناير سنة ١٩٩٤ .

المصادر ، عاشت كلها خلال تلك الفترة - موضوع البحث - التي تعتبر من أزهى فترات الحكم الاسلامي فى الاندلس ، حيث أن الاندلس بعد القرن السادس الهجرى أصبحت منطقة طرد للسكان المسلمين ، وليست مركز جذب للمهاجرين من المشرق الإسلامى أو بلاد المغرب ، فعند القرن السابع الهجرى اشتدت حركة الاسترداد المسمى La Reconquista فى الاندلس ، وسقطت معظم المدن الأندلسية فى أيدي النصارى الإسبان ، وبالتالي اضطر الكثير من علماء الأندلس الى الهجرة وخاصة إلى الاسكندرية التى استقر بها العديد من شيوخ الأندلس البارزين أمثال ، الشيخ أبو بكر الطرطوشى (ت سنة ٥٢٠هـ) والفقير محمد بن سليمان المعافى الشاطبى (ت سنة ٦٧٢هـ) والشيخ الصوفى أبو العباس أحمد بن عمر المرسى (ت سنة ٦٨٦هـ) وغيرهم كثير .

ومن الملاحظ أن هناك عدة عوامل ساعدت على هجرة الكثير من المصريين إلى الأندلس خلال فترات العصر الإسلامى منها ما يلى :

أولا : تشبع الكثير من التابعين المصريين بروح الجهاد دفاعا عن الاسلام ، ورغبة فى نشره عن طريق الفتوحات ، ولذا خرجوا بصحبة القائد موسى بن نصير أمير المغرب وساهموا معه فى فتح الاندلس ، وأثر بعضهم الاستقرار فيها عقب الفتح باعتبار أنها دار رباط و جهاد وأحد ثغور الاسلام <sup>(١)</sup> .

ثانيا : العلاقات الودية التى ربطت بين الأندلس فى عصر الدولة الأموية وبين مصر ، سواء فى بعض فترات عصر الولاة ، أو فى عصر دولتي الطولونيين والاختشيديين <sup>(٢)</sup> .

(١) انظر الحميدى . جذوة المقتبس ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة سنة ١٩٦٦ ، ص ٦ ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ٤ ، تحقيق يوسف البقاعى ، بيروت سنة ١٩٨٦ ، ص ٥٩ .

(٢) انظر . ابن تغرى ، بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، طبعة دار الكتب ، القاهرة سنة ١٩٣٠ ، ص ٨٥ ، سيدة كاشف ، مصر فى عصر الاختشيديين ، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٩ ==

ثالثا : تشجيع الكثير من حكام الأندلس للعلم والعلماء وأصحاب المواهب سواء الفنية أو العملية أو الحربية ، واغداقهم الارزاق والأعطيات عليهم ، واسناد الخطط الادارية لذوى النباهة منهم <sup>(١)</sup> .

رابعا : ترحيب الخلفاء الأمويين فى عهدى الناصر لدين الله وابنه الحكم المستنصر بالله بمن يفد عليهم من الفرشيين سواء من مصر أو المشرق وقد تمتعوا بمكانة مرموقة فى المجتمع الأندلسى نظرا لنسبهم الشريف إلى قبيلة قريش (قبيلة النبی ﷺ)، وكانوا يحصلون على العطاء من ديوان قريش <sup>(٢)</sup>، فيذكر المقرئ أن أبا عبدالرحمن أحمد بن يزيد القرشى المصرى (من نسل الصحابى عبدالرحمن بن عوف) كان من فقهاء مصر ، وهاجر الى الأندلس ، ونزل بقرطبة فى سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ - ٩٥٥ م ، حيث استقبله الخليفة عبدالرحمن الناصر بالحفاوة والاکرام <sup>(٣)</sup> .

---

== ص ٣٠٣ ، مختار العبادى بعض مظاهر العلاقات التاريخية ، ص ٣ ، ٤ ، احمد الطوخى ، مصر والأندلس ، ص ٢٢ .

Makki, Ensayo Sobre Las aportaciones orientales en La, España musulmana, Revista del instituto de estudios islamicos, Madrid, 1961, pp. 185 - 186.

(١) انظر : ابن بشكوال ، الصلة ، ق ١ ، نشر الدار المصرية للتأليف ، القاهرة سنة ١٩٦٦ ، ص ٨٤ - ٨٥ ترجمة رقم ١٨٣ ، ص ١٤٦ ترجمة ٣٣٢ ، المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٦٥ - ٦٦ . ١٤٠ .

(٢) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ق ١ ، نشر الدار المصرية سنة ١٩٦٦ ، ص ٧٥ ترجمة ٨٢٤ ، ق ٢ ، ص ١١٦ ، ترجمة ١٤٠٥ ؛

Elias Terés, Linajes arabes en al-Andalus, Revista, Al Andalus. XXXII, Madrid, 1957, p. 79 & Levi - Provençal, Histoire de l'Espagne musulmane, t, III, Paris, 1950, P. 189.

(٣) ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، نشر عزت العطار الحسينى ، القاهرة سنة ١٩٦٥ ، ص ١٢٧ ، ترجمة ٣١٧ ، المقرئ نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ١٤٠ .

خامسا : كان اشتداد الخطر الفاطمي الشيعي على مصر فى أواخر عصر الدولة الأخشيديّة ثم استيلاء الفاطميين عليها فى سنة ٣٥٨ هـ ، من اسباب لجوء بعض علماء مصر السنيين إلى بلاد الأندلس السنية فى عهد الخليفة الحكم المستنصر ، وقد رحب الأمويون بكل لاجئ سياسى يفر إليهم من اضطهاد الشيعة ، ومن أمثلة ذلك : الفقيه المحدث اسماعيل بن عبدالرحمن القرشى المصرى الذى وفد على الأندلس فى سنة ٣٥٦ هـ - أى قبيل دخول الفاطميين الشيعة مصر - واستوطن اشبيلية ، وذاع صيته هناك كأحد الفقهاء المالكية البارزين (١) .

سادسا : نتج عن قيام الدولة الأيوبية السنية فى مصر ، أن هاجرت جماعات من المصريين الشيعة أنصار الفاطميين ، إلى الأندلس . فيذكر المقرئ أن الفقيه أبا المكارم هبة الله بن الحسين المصرى أثر الفرار من مصر على رأس حملة من شيعة الفاطميين عقب سقوط دولتهم على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، واستقر بالأندلس ، وحظى بثقة وتقدير الموحدين وأسندوا إليه خطة القضاء بإشبيلية فى سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ (٢) م .

ومن الثابت أن العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين مصر والأندلس كانت وثيقة ومستمرة طوال العصر الإسلامى ، ويتضح ذلك فيما يلى :

### أولا : فى مجال العلاقات السياسية والاقتصادية :

من المعروف أن مصر قد ارتبطت بالغرب الإسلامى منذ العصر الأموي ، حيث كان والى مصر الأموى يتولى أيضا حكم بلاد المغرب والأندلس ، ويؤكد

(١) أنظر بن بشكوال ، الصلة ، ص ٥١ ، ترجمة ٢٤٦ ، محمود مكى ، التشيع فى الأندلس .

مجلة معهد الدراسات الإسلاميه بمدير سنة ١٩٥٤ ، ص ١٢٤

(٢) نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٦٩ ، احمد الطوخى ، نفس المرجع السابق ، ص ٥٨ - ٥٩



ذلك قول ابن عذارى أن عبيدالله بن الحبحاب قدم إفريقيا في سنة ١١٦هـ (فى عهد الخليفة هشام بن عبدالمملك ) ، وأصبحت ولايته تشمل مصر والمغرب والأندلس (١) .

كذلك أشارت بعض المصادر إلى أن جيش الشام - بقيادة بلج بن بشر القشيري الذى دخل الأندلس لمساعدة واليها عبدالمملك بن قطن ضد البربر - كان يضم أيضا أعدادا كبيرة من عرب مصر الذين قاموا بدور مهم فى القضاء على ثورة البربر ضد العرب فى الأندلس (٢) ، إلى أن تولي أبو الخطار الحسام ابن ضرار الكلبي حكم الأندلس فى سنة ١٢٥هـ ، ٧٤٣م ، فوضع حدا لتلك الفتن والحروب الداخلية ، وقام بتوزيع الجند العرب على مختلف الكور (الأقاليم) الأندلسية فأنزل عرب مصر فى تدمير (مرسيه Murcia) بشرق الأندلس وباجة (Beja) واكشونية (Ossonoba) بغرب الأندلس ، وهى مواضع تشبه إلى حد كبير مواطنهم الأصلية (٣) .

ورغم العداء السياسى الذى كان يطرأ أحيانا بين الدولتين فى بعض الفترات، إلا أنه لم يكن عائقا أمام الاتصال الاقتصادى بينهما ، خاصة وأن مصر كانت معبرا للحجاج والتجار الأندلسيين فى طريقهم إلى الحجاز أو المشرق لأداء فريضة الحج والتجارة (٤) ، فهناك ما يشير إلى أن العلاقات التجارية بين

(١) انظر البيان المغرب ، ج ١ ، نشر كولان وليفى بروفنسال ، بيروت سنة ١٩٨٠ ص ٥١ ، مختار العبادى ، بعض مظاهر العلاقات التاريخية ، ص ١ ، مصطفى السعيد ، الروابط الثقافية بين اسبانيا ومصر ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، سنة ١٩٥٨ ، ص ١٠ ، أحمد الطوخى ، نفسه ، ص ١٥ .

Makki, Ensayo Sobre las aportaciones, pp 179 - 180

(٢) مؤلف مجهود ، أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى دار الكتاب المصرى واللبنانى ، سنة ١٩٨١ ، ص ٣٦ .

Makki, op.cit, p. 180.

(٣) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب المصرى واللبنانى ، بدون تاريخ ، ص ٤٤ : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٣ .

Gaspar Remiro, Murcia musulmana. Zaragoza, 1905 p 44 & Levi Provençal, Histoire de L'Espagne. t I p 49

مصر والأندلس كانت مستمرة ، فتذكر المصادر أنه في نهاية القرن الثاني الهجري كان غزاة البحر الأندلسيون يترددون بسفنهم على ميناء الاسكندرية ، لابتياح ما يلزمهم من عتاد ومؤن وطعام دون السماح لهم بالدخول إلى المدينة ، حيث كان تجار الاسكندرية يخرجون إليهم ببضائعهم لتزويدهم بما يحتاجون إليه <sup>(١)</sup> .

ويؤكد المؤرخ المصري ابن تغرى بردى على وجود نوع من التحالف العسكرى بين الأمير هشام الرضا بن عبدالرحمن الداخل (١٧٢ - ١٨٠هـ) وبين عبدالله بن المسيب والى مصر العباسى فى سنة ١٧٧هـ / ٧٩٣م (أى فى عهد الخليفة هارون الرشيد) ، ويضيف بأن هذا التحالف لم يستمر طويلا ، اذ سرعان ما أمر الخليفة العباسى بعزل ابن المسيب فى نفس السنة (١٧٧هـ) <sup>(٢)</sup> .

ورغم أن رواية ابن تغرى بردى تتسم بالمبالغة ، إلا أن لها دلالة على أن العلاقات لم تكن عدائية بين مصر فى عهد هذا الوالى العباسى وبين الأندلس الأموية فى عهد الأمير هشام الرضا .

---

== وانظر ايضا : عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ١٦٢ ، حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، نشر الدار السعودية ، جدة سنة ١٩٨٥ ، ص ٣٦٠ ، مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ٩٤ .

وراجع ايضا بحث : عبدالعزيز سالم ، العلاء بن مغيث الجذامى الشائر على دولة بنى أمية فى الأندلس ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، سنة ١٩٩٠ ، ص ٧٥ - ٧٧ .  
(١) انظر : الكندي ، الولاة والقضاة ، نشر رفن جست ، بيروت سنة ١٩٠٨ ، ص ١٥٨ ، المقرئى ، الخطوط ، ج ١ ، طبعة القاهرة . ج ١ ، سنة ١٩٨٧ ، ص ١٧٢ ، عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، دار المعارف سنة ١٩٦٩ ، ص ١٢٨ ، سعد زغلول عبدالحميد ، تاريخ المغرب الغربى ، ج ٢ ، الاسكندرية ، سنة ١٩٧٨ ، ص ٢٢٨ ، سيدة كاشف ، مصر فى عصر الولاة ، الهيئة العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٨ ، ص ٩٩ .

Makki, Ensayo sobre las aportaciones, p. 181

(٢) انظر النجوم الزاهرة ج ٢ ، ص ٨٥ .

وعندما ضعفت الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني منذ منتصف القرن الثالث الهجري ، واستقلت الكثير من ولايتها توطدت العلاقة السياسية والاقتصادية بين مصر الطولونية والأندلس ، خاصة بعد نشوب العداء بين أحمد ابن طولون والأمير الموفق العباسي (ولى العهد) وساعد هذا بالتالى على التقارب بين الدولة الطولونية فى مصر والدولة الأموية فى الأندلس ، واستمرت تلك العلاقات الودية قائمة فى عصر الدولة الأخشيديية ، بسبب عدائهما المشترك للفاطميين الشيعة فى المغرب ، ونتيجة لذلك كان العلماء والتجار والرحالة وطلاب العلم يتنقلون فى حرية تامة بين كلا البلدين <sup>(١)</sup> .

وبعد سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس وقيام دويلات الطوائف (القرن ٥هـ/١١م) تحسنت العلاقات بين مصر الفاطمية والأندلس ، ففى تلك الفترة أرسل إقبال الدولة على بن مجاهد العامرى صاحب دانية (٤٣٦-٤٦٨هـ/١٠٤٥ - ١٠٧٦) إلى أهل مصر سفنا تحمل امدادات من المؤن والغلال ، مساعدة لهم فى مواجهة المجاعة التى حلت بمصر فى سنة ٤٥٧ هـ ، والتى استمرت سبع سنين فى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى ، والمعروفة باسم الشدة العظمى أو الشدة المستنصرية <sup>(٢)</sup> ، وقد أعاد الفاطميون هذه السفن محملة بالعتاد الحربي لمساعدة الأندلسيين فى جهادهم ضد النصارى الإسبان ، كذلك تبادل على بن مجاهد الرسائل الودية مع الخليفة المستنصر الفاطمى ،

---

(١) انظر : ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٣٥٦ ، ترجمة ١٠٤٩ ، مختار العبادى ، فى التاريخ العباسى والفاطمى ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٧ ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، سيدة كاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ٣٠٣ ، احمد الطوخى ، ص ٢٢ ، ٢٣ .  
(٢) راجع التفاصيل فى : المقرئى ، اغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيبال ، القاهرة سنة ١٩٥٧ ص ٢٤ وما ييها ، جمال الدين سرور ، مصر فى عصر الفاطميين (ضمن موسوعة مصر الاسلامية) ، الهيئة العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٣ ، ص ٣١٩ ، ٣٢١ ، مختار العبادى ، فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

والتي عبر فيها ابن مجاهد عن رغبته في الدعاء للخلافة الفاطمية <sup>(١١)</sup> .  
ومن جهة أخرى ألح ابن بسام إلى بعض الشخصيات الأندلسية التي وفدت  
على مصر الفاطمية ، واستقرت بها فترة من الزمن (خلال القرن ٥هـ / ١١م) ثم  
عادت إلى وطنها الأندلس ، واشتهر أمرها هناك وتولت العديد من الخطط  
الإدارية <sup>(١٢)</sup> .

## ثانيا : في مجال العلاقات الثقافية :

كانت دول البحر المتوسط في الواقع على اتصال وثيق فيما بينها في المجال

---

(١١) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، تحقيق سهيل ركار وعبدالقادر رمامة ، الدار البيضاء سنة  
١٩٧٩ ، ص ٧٧؛ ابن الخطيب ، اعمال الأعلام ، ق ٢ ، نشر لبني بروفنسال ، الرباط سنة  
١٩٣٤ ، ص ٢٥٤ ، محمود مكي ، التشيع في الأندلس ، ص ١٢٩ ، مختار العبادي سياسة  
الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمديرية سنة ١٩٥٧  
، ص ٢١٧ - ٢١٩ ، مصطفى السعيد ، نفسه ص ١١ ، أحمد الطوخي ، نفسه ص ٣١ - ٣٣  
، كليليا سارنللي ، مجاهد العامري ، القاهرة ، القاهرة سنة ١٩٦١ ص ٢٦٣ - ٢٦٤

Maria J. Rubiera. La Tarta de Dena, Alicante, 1985, p 101

(١٢) انظر الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ق ٤ ، مجلد ١ ، تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة  
١٩٧٩ ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣

اشار ابن بسام الى بعض هؤلاء الأندلسيين الذين رحلوا الى مصر في العصر الفاطمي ومنهم  
الوزير الحكيم أبو محمد عبدالله بن خليفة القرطبي المعروف بالمصري ، لطول إقامته بمصر ،  
وامتدحه بقوله بأنه «شيخ الفتيان وخاتمة أصحاب السلطان»

وكان قد رحل الى مصر واسمه خامل ، ثم لم يلبث أن عاد إلى وطنه الأندلس «وقد نشأ خلقا  
حديدا « ويرع في الطب علاوة على درايته بالأدب والشعر ، وخدم للمأمون بن دى النون  
صاحب طليطلة ثم للمعتمد بن عباد صاحب اشبيلية الى أن توفي في سنة ٤٩٦هـ انظر  
الذخيرة ق ٤ ، مجلد ١ ، ص ٣٤٢ وما يليها ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب تحقيق  
شوقي ضيف ج ١ طبعة دار المعارف ، بدون تاريخ ص ١٢٨ - ١٣١

(١١) انظر الرهري كتاب الجغرافية، ص ٥ . رحلة ابن بطرطة تحقيق طلال حرب ، بيروت سنة

الثقافى طوال العصر الوسيط ، وقد ساعد موقع مصر الجغرافى على توطد  
علاقتها الثقافية مع بلدان هذا البحر وخصوصا بلاد المغرب والأندلس ، حيث  
كانت الاسكندرية باب المغرب ، وتتوسط بين المشرق والمغرب الإسلامى على حد  
قول المصادر الجغرافية (١) .

وكانت الرحلات العلمية من أهم العوامل التى ساعدت على تحقيق الاتصال  
الفكرى بين المشرق والمغرب الإسلامى ، فانتقلت المؤلفات والأفكار بخرية من  
منطقة إلى أخرى ، ونتج عن ذلك ما يمكن أن نسميه بالاندماج الثقافى (٢) .

ومما يدل على تلك الصلات الثقافية التى ربطت بين مصر والأندلس أن عددا  
كبيرا من الأندلسيين رحل إلى مصر والاسكندرية بصفة خاصة لطلب العلم على  
أيدى علماء وشيوخ مصر المشهورين ، وخصوصا فى الفقه ، حيث أنه بعد وفاة  
الامام مالك بالمدينة ، أصبحت الفسطاط والاسكندرية من أهم مراكز الفقه  
المالكى السنى (٣) .

كذلك انتقل مذهب الامام المصرى الليث بن سعد ( ت سنة ١٧٥هـ ) إلى  
الأندلس ، وعمل به هناك إلى جانب المذهب المالكى ، رغم أن مذهب الأمام الليث  
لم يقدر له البقاء طويلا بمصر (٤) .

١٩٨٧ ، ص ٣٩ .

(٢) انظر مصطفى السعيد ، الروابط الثقافية بين اسبانيا ومصر ، ص ٨ .

Makki, op.cit., p. 183.

(٣) ابن الفرضى ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٩١ - ٩٣ ترجمة ١٣٦٠ : سعد زغلول عبد الحميد ، الأثر  
المغربى والأندلسى ، ص ٢٢٩ ، حسن أحمد محمود ، حضارة مصر الإسلامية فى العصر  
الطولونى ، دار الفكر العربى ، بدون تاريخ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ : مصطفى السعيد ، نفسه ص  
١٢ ، أحمد الطوخى نفسه ، ص ٦٦ وما يليها .

(٤) راجع التفاصيل عنه فى السيوطى ، حسن المعاصرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، ج ١ ، تحقيق  
محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة سنة ١٩٦٧ ، ص ٣٠١ ، أحمد الطوخى ، نفسه ، ص  
٦٢ - ٦٣ .

Makki, op.cit., p. 188 - 599.

(١) انظر ابن الفرضى ، نفسه ، ق ١ ، ص ١١٢ ترجمة رقم ٣٤٩ وحول الصلات الثقافية

وجدير بالملاحظة أنه رغم العداء السياسى والمذهبى بين مصر الفاطمية والأندلس الأموية ، إلا أن ذلك لم يحل دون الاتصال الثقافى بينهما ، فهناك إشارات عديدة فى كتب التراجم إلى رحيل بعض الأندلسيين إلى مصر للتدريس فى جوامعها <sup>(١)</sup> . بل أن أحدهم ويدعى ابن القرطبى <sup>(٢)</sup> استقر بمصر ، وتولى رئاسة الفقهاء المالكية هناك ، وكان هذا الفقيه الأندلسى على صلة وثيقة بالخليفة الأموى المستنصر بالله ، لموقفه العدائى من الفاطميين الشيعة الذين كانوا فى تلك الأثناء لا يزالون بالمغرب <sup>(٣)</sup> .

ومما لا شك فيه أن الموقع الجغرافى المتميز لمدينة الاسكندرية قد هيا لها أن تكون محط رحال الأندلسيين الذين وفدوا إليها على هيئة علماء ومتصوفة وتجار وطلاب علم ، ولذا حفلت كتب التراجم بالعديد من أسماء الأندلسيين الذين نزلوا بالاسكندرية واستوطنوها خاصة فى أعقاب سقوط معظم المدن الأندلسية فى

---

والحضارية بين الأندلس ومصر فى العصر الفاطمى راجع التفاصيل فى

Mikel de Epalza, El esplendor de al-Andalus reflejo del esplendor Fatimi, en actas del IV Coloquio Hispano-Tunezino, Madrid, 1983, pp 80-81

(٢) هو ابو اسحاق محمد بن القاسم العنسى المعروف بابن القرطبى ، كان رأس الفقهاء المالكية بمصر فى وقت خ ، واحفظهم لمذهب الامام مالك ، علاوة على درايته بالادب وعلم التاريخ ، ويصفه ابن فرحون بأنه كان واسع الزواية كثير الحديث ، ومن مؤلفاته : كتاب الرواة عن مالك ، وكتاب المناسك ، وكتاب فى مناقب مالك ، وغيرها . وكان هذا الفقيه الأندلسى الأصل شديد العداء للفاطميين الشيعة ، كثير الذم لهم ، وكان يدعو على نفسه بالموت قبل مجىء دولتهم . وقد توفى بمصر فى سنة ٣٥٥هـ قبيل استيلاء الفاطميين على مصر . انظر (ابن فرحون ، الديباج المذهب ، فى معرفة أعيان علماء المذهب ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩)

(٣) انظر : ابن فرحون ، نفسه ، ص ٢٤٨ ، العبادى ، بعض مظاهر العلاقات ، ص ٤٤

Makki, op. cit. p 186

(١) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٢٦٨ ، ج ٢ ، ص ٣٨٤ ، ٤٢٤ ، المقرئ ، نفح

أيدى النصارى الإسبان (فى القرن ٧هـ / ١٣م) (١١).

أما فيما يختص باسهامات السكندريين فى المجتمع الأندلسى ، فإن ما وصلنا من إشارات عنهم يتسم بالقلّة والايجاز ، وعلى الرغم من ذلك فإنه عن طريق كتب التراجم والمصادر التاريخية وشواهد القبور يمكن إلقاء بعض الضوء على الأثر السكندرى فى الأندلس فى العصر الإسلامى ، حيث برزت خلال فترات مختلفة شخصيات سكندرية كان لها دورها الملموس سواء فى المجال الإدارى والحربى أو فى الحركة الفكرية والفنية وكذلك فى التجارة الخارجية .

( ١ )

### اسهامات سكندرية فى المجال الادارى والحربى

يعتبر الوزير القائد عبدالواحد بن يزيد الاسكندراني أبرز شخصية سكندرية دخلت الأندلس فى عصر الدولة الأموية ، فقد استطاع خلال فترة وجيزة أن يرتقى إلى أعلى المناصب الكبرى فى قرطبة حاضرة الأمويين فى الأندلس . ويرجع الفضل إلى المؤرخ ابن حيان القرطبى فى تزويدنا بمعلومات قيمة حول شخصية عبدالواحد الاسكندراني ، وأوليته فى الأندلس ، فيذكر أنه وقد على قرطبة فى أوائل عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط (بوع سنة ٢٠٦هـ / ٨٢٢م) ، وكان حدثا متطرفاً يميل إلى الأدب ، ويشدو شيئا من الغناء ، فاتصل بالحاجب

---

الطيب ، ج ٣ ، ص ٥٩ ، جمال الدين الشيال ، تاريخ مدينة الاسكندرية فى العصر الإسلامى ، دار المعارف سنة ١٩٦٧ ، ص ٥٠ - ٥١ سعد زغلول ، الاثر المغربى ، ص ٢٣٦ وما بعدها ، عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة الاسكندرية ص ٤٧٥ هـ ١ ، أسامة حماد ، الاسكندرية فى عصر دولتى سلاطين المماليك ، ج ٢ ، ص ٩٨٥ .

عيسى بن شهيد<sup>(١)</sup> ، الذى توسم فيه النجاسة والذكاء والكفاية ، فنصحه بأن يمسك عن الغناء ويكتفى بأدبه ، فامثل الاسكندرانى لنصح الحاجب الذى وثق به ، وحظى لديه بمكانة رفيعة ، وأوصله بدوره الى الأمير عبدالرحمن الأوسط الذى اعجب به وأدنى منزلته ، وجعله من خاصته ، ثم أسند إليه خطة صاحب المدينة<sup>(٢)</sup> بالحاضرة قرطبة ، ورقاه بعد ذلك إلى

---

(١) هو الوزير الحاجب عيسى بن شهيد بن عيسى بن شهيد الوضاح ، ينتسب إلى بنى شهيد ، من أكبر البيوتات الأندلسية ، وأوسعها شهرة فى عصر الدولة الأموية ، حيث تولى أفرادها لأمرأى بنى أمية وخلفائهم العديد من الخطط الكبرى فى الدولة مثل الحجابة والوزارة الكتابة وقيادة الجيوش . وكان جدهم شهيد بن عيسى - على الأرجح - من موالى معاوية بن مروان بن الحكم ، ودخل الأندلس فى عهد الأمير عبدالرحمن بن معاوية (الداخل ، وكان أحد المقربين إليه) . أما ابنه عيسى - المذكور هنا - فقد خلف أباه فى منزلته لدى الأمرين فكان أحد كبار رجال دولة الأمير عبدالرحمن الأوسط الذى ولاه العديد من المناصب مثل القيادة والحجابة التى ظل يتولاها حتى أوائل عهد ابنه الأمير محمد . انظر : (ابن القوطية ، نفسه ، ص ٨٨ - ٨٩ ؛ ابن حيان ، قطعة من المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، بيروت ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٢٦ ، ٤٤٧ - ٤٤٨ هـ ٨٦ ، ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج ١ ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة سنة ١٩٦٣ ، ص ٣٢٧ - ٣٣٨ ؛ ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٥٠ .

Levi-provençal, L'Espagne musulmane au Xeme Siede, Paris, 1932, pp. 101 - 103.

وراجع ايضا : حمدى عبدالمنعم محمد ، مجتمع قرطبة فى عصر الدولة الاموية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، توقشت بكلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، سنة ١٩٨٤ ، ص ٩٤ (٩٧) .

(٢) صاحب المدينة (Zalmedina) يتضح من المصادر الأندلسية أن مهام صاحب المدينة بقرطبة كانت متعددة ، فمنها أنه يقوم بأخذ البيعة العامة فى جامع قرطبة للأمير أو الخليفة ، وينوب عنه أثناء غيابه عن الحاضرة ، وأحيانا يقود الجيش فى الحرب ، كما كان يشرف على السجون ، وجباية ضريبة العشور المفروضة على أهل قرطبة ، وكذلك المحافظة على الآداب العامة بالمدينة ، والإشراف على تنفيذ الأحكام التى يصدرها القاضى ، حيث كان أعوان صاحب المدينة هم الذين يقومون بتنفيذ تلك الأحكام .

انظر : (ابن القوطية ، نفسه ص ٩٩ ، ١٠٠ ؛ ابن حيان قطعة من المقتبس ، تحقيق عبدالرحمن الحجى ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٧٧ ؛ مؤلف مجهول ، مدونة الخليفة عبدالرحمن الناصر ، شر ==



## الوزارة والقيادة (١) .

وقد ساهم الوزير القائد عبدالواحد الاسكندراني في اخماد بعض الفتن والثورات الداخلية التي اندلعت في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط ، ومن ذلك قيادته للحملة الأموية الموجهة إلى طليطلة (Toledo) في سنة ٢٢١هـ / ٨٣٦م لاختماد ثورة أهلها الذين شقوا عصا الطاعة على الحكومة المركزية بقرطبة ، فبعث إليهم الأمير عبدالرحمن بقوة عسكرية من قلعة رباح Calatrava - جنوبي طليطلة - حاصرت المدينة وقطعت عنها الميرة ، مما أرهق أهلها ، وعقب ذلك زحف اليهم القائد الاسكندراني بجيشه ، وتمكن من اقتحام أسوار طليطلة وفتحها عنوة في شهر رجب سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٧م ، ثم قام بتنظيم أمورها ، وأمر بتعمير وتحصين القلعة (القصبة) التي أسسها عمروس الوشقي (٢) في عهد

---

== ليفي بروفنسال وغرسيه غومث ، مدريد ، سنة ١٩٥٠ ، ص ٣٠ ، ابن عبدون الاشبيلي ، رسالة في القضاء والحسبة ، نشر ليفي بروفنسال ، المعهد الفرنسي ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ، ص ١٦ - ١٧ ، ليفي بروفنسال ، المدن. والنظم المدنية في المغرب الإسلامي ، ضمن سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ، مطبوعات جامعة الاسكندرية ١٩٥١ ، ص ٨١ ، عبدالعزيز سالم ، في تاريخ وحضارة الإسلام في الاندلس ، الاسكندرية سنة ١٩٨٥ ، ص ٣٢٨ ؛ حمدي عبدالمنعم ، مجتمع قرطبة ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ؛

Joaquin Vallve, El Zalmedina de Cordoba, Revistal Al-Qantara.

Vol, II, Fasc 1-2, Madrid 1981, pp. 277 - 278.

(١) انظر : ابن حيان ، قطعة من المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) هو عمروس بن يوسف الوشقي المولد ، من زعماء المولدين في عهد الأمير الحكم الأول (الريضي) ، بن هشام الرضا (١٨٠ - ٢٠٦هـ) ، أصله من مدينة وشقة (Huesca) بالشعر الأعلى (شمال شرق الأندلس) ، ويرد ذكره في المصادر اللاتينية باسم (Amores) بينما تطلق عليه الحوليات الفرنجية Amorroz ، وكان عمروس الوشقي في بداية أمره غلاما لعيشون الأعرابي وإلى جرنده Gerona ثم التحق بخدمة مطروح بن سليمان الأعرابي الشائر بهرشلونة وسرقسطة عهد الأمير عبدالرحمن الداخل . وقد غدر عمروس بسيد مطروح واشترك في قتله مما أحطاه لدى الأمويين ، فوفد على حضرة قرطبة ، وتقع بمنزله ربيعة في عهد الأمير الحكم ==

الأمير الحكم الرضى عند باب الجسر ، واعاد بذلك الهدوء والاستقرار الى تلك المدينة التى طالما أزعجت الأمويين بثوراتها المستمرة <sup>(١)</sup>.

ولم يقتصر دور القائد عبدالواحد الاسكندراني على اخماد الثورات الداخلية، بل شارك أيضا فى الجهاد ضد النصارى الاسبان والفرنجية ، وأبلى فى ذلك بلاء حسنا . ففى سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤٠ - ٨٤١م أرسل ابنه المطرف ويصحبته القائد الاسكندراني الذى أنزل الهزيمة بنصارى جليقية، وعاث فى أراضيهم وأحرق مزارعهم وعاد ظافراً الى الحاضرة قرطبة <sup>(٢)</sup>.

= = الرضى ، فأستد اليه ولاية طليطلة ولجج فى اخماد ثورة اهلها فى موقعة الحفرة الشهيرة فى سنة ١٨١ هـ / ٧٩٧م ثم قام عقب ذلك بالقضاء على ثورة بهلول بن مرزوق بسرقسطة فى سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢) وكافأه الأمير الحكم على خدماته بأن ولاه سرقسطة (قاعدة الشجر الأعلى) فى سنة ١٨٨١ هـ / ٨٠٤م، وظل على ولايتها عدة سنوات ، تمكن خلالها من إعادة الأمن والاستقرار الى منطقة الشجر الأعلى الأندلسى ، انظر (ابن القوطية ، نفسه ، ص ٦٤ ، ابن حبان، نفسه ، تحقيق محمود مكى ، ص ٦٠٨ هـ ٥٣٠ ، العذرى ترصيع الأخبار ، تحقيق عبدالعزيز الأهوانى ، مدريد سنة ١٩٦٥ ، ص ٢٧ - ٢٨ ؛

Simonet, Historia de los Mozarabes de España, Madrid, 1903, pp. 300-301.

وراجع ايضا : حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٧٨ ؛ عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، مختار العبادى فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢٩ ، كمال أبو مصطفى ، المولدون فى منطقة الشجر الأعلى الأندلسى ، مجلة كلية التربية - جامعة الاسكندرية سنة ١٩٨٨ ، ص ٤٥٦ ، ٤٨٧) .

(١) انظر ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، طبعة بيروت ١٩٨٧ ، ص ٣٦ - ٣٧ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٤ ، النويرى ، نهاية الأرب ج ٢٣ ، تحقيق احمد كمال زكى ، القاهرة سنة ١٩٨٠ ، ص ٣٨٠ ، ابن خلدون ، العبر ج ٤ ، طبعة بيروت سنة ١٩٧١ ، ص ١٢٨ ، عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم ، ص ٢٣١ ، عبدالله عنان ، دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الاول ق ١ القاهرة سنة ١٩٨٨ ، ص ٢٥٩ .

(٢) ابن عذارى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٦ .

Levi-Provençal, Histoire, t 1, p 206

وبصيف الخوليات المرخبية والقطلانية أنه فى سنة ٢٢٧هـ / ٨٤١م أمر عبدالرحمن الاوسط بانعاد حملة عسكرية إلى الشغر الإسباني La Marca Hispanica (قطالوبية Catalonia) وأسند قيادتها إلى عبدالواحد الاسكندراسى الذى توغل داخل الأراضى الفرنجية بقطالونية ودمر بعض حصونهم بإقليم شرطانية <sup>(١)</sup>، والمنطقة الشرقية لجبال البرتات، ووصل فى زحفه حتى حدود أربونه Narbonne بجنوبى بلاد غالة <sup>(٢)</sup>

كذلك إلمحت المصادر الأندلسية إلى جهود القائد عبدالواحد الاسكندرانى أثناء عماره النورماندين <sup>(٣)</sup> على سواحل الأندلس الغربية فى عهد الأمير

(١) شرطانية أو سرطانية (بالاسبانية Cardena)، يقصد بها تلك المنقة الواقعة إلى الجنوب مباشرة من جبال البرتات الشرقية، متاخمة لحدود بلاد غالة (فرنسا)، انظر: (قطعة من المقتبس، تحقيق محمد مكي، ص ٦١، ص ٥٣٢)

(2) Levi-Provençal, Histoire de L'Espagne musulmane, t. 1, p 212

(٣) النورمانديون أو الأردمانيون يقصد بهم النورمان (Normans)، وقد أطلق المسلمون عليهم اسم المجوس لأنهم كانوا يشعلون النار فى كل موضع يرون به وربما كانوا يحرقون بها جثث الموتى من قاداتهم، فاعتقد المسلمون أنهم يعبدون النار كالمجوس، وكذلك عرفوا فى المصادر الاوربية باسم الفايكنج (Vikings) أى سكان الخلجان، لهذا أطلقت على سكان شبه جزيرة اسكنديناوه لكثرة خلجانها، التى استخدمت مراكز يشن منها هولا، القراصنة غاراتهم البحرية على السواحل الضعيفة، وأصل هذا الشعب جرمانى أو تيوتونى، وهو من الأجناس الآرية القديمة، وكان ينقسم إلى ثلاث مجموعات: السويدون والنرويجيون والدنماركيون (الدانيون)، والمجموعة الأخيرة هى التى هاجمت سواحل الأندلس والمغرب فى عصر الدولة الأموية خصوصاً فى القرن ٣ هـ / ٩م انظر التفاصيل عنهم فى

(Levi-provençal, Histoire, t.1, p 219).

فشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ج ١، ترجمة محمد مصطفى زيادة، والباذ العرنى، دار المعارف، سنة ١٩٧٦ ص ١١٥، وما يليها حسين مؤنس، غارات النورماندين على الأندلس، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية سنة ١٩٤٩، ص ٢٤ - ٢٦، مختار العبادى وعبدالعزيز سالم، تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر المتوسط، ج ٢، الاسكندرية بدون تاريخ ص ١٥٢ - ١٥٣، سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، =

عبدالرحمن الأوسط ، ففى سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤ - ٨٤٥م تقدمت مراكب النورمانديين من ساحل أشبونة (Lisboa) نحو إشبيلية (Sevilla) فنزلوا أولا بقادس (Cadiz) ثم شذونة (Medinasidonia) وناشبهم المسلمون القتال ، ثم احتلوا بجزيرة قبطل (١) قرب إشبيلية ، وأقاموا بها ثلاثة أيام ، اتجهوا بعدها الى قرية قورة ، ودارت هناك معركة بينهم وبين المسلمين بحصن قورة (٢) أسفرت عن هزيمة المسلمين بالحصن ، ثم دخل النورمانديون طلياطة (٣) ، فنزلوها ليلا وزحفوا منها إلى إشبيلية ، التى لم يستطع أهلها الصمود امام الهجوم النورماندى ، وقتل الكثير من المسلمين ، ودخلوا إثر ذلك الحاضرة إشبيلية ، التى عاثوا فيها نهبا وقتلا وتخريبا ، وأحرقوا أسقف جامع إشبيلية ، فى الوقت الذى استنفر فيه الأمير عبدالرحمن الأوسط المسلمين للجهاد ، فخرج جيش كبير من الحاضرة قرطبة على رأسه الحاجب عيسى بن شهيد وكبار القادة أمثال

---

== ج ١ ، القاهرة سنة ١٩٦٦ ، الحاشية ص ٢٤٤ ، محمد أبو العصل حول السفارات الأندلسية الى دول اوربا ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، سنة ٨٣ - ١٩٨٤ ، ص ٨١ - ٨٤ .

(١) جزيرة قبطل (CapteI) تعرف الآن باسم Isla Minor أى الجزيرة الصغيرة ، ويصفها ابن سعيد بأنها جزيرة فى نهر إشبيلية (الوادى الكبير) تمتاز بالخصب ، انظر : (المغرب فى حلى المغرب) ، ج ١ ، ص ٢٩٢ ، عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٥

(٢) قورة (بالاسبانية Coria del Rio) : إحدى قرى إشبيلية وتبعد عنها بمسافة إثني عشر ميلا ، انظر (العذرى ، ترصيع الاخبار ، ص ٩٩) ؛

Levi Provencao, Historie, t.I, p 220.

(٣) طلياطة (Tablada) : تقع على مسافة عشرين ميلا إلى الجنوب من إشبيلية ، انظر (العذرى ، نفسه ، ص ٩٩) .

عبدالواحد الاسكندراني وابن كليب<sup>(١)</sup> وابن رستم<sup>(٢)</sup>، ودارت معركة بين الطرفين ثبت فيها المسلمون ، وأنزلوا الهزيمة بالنومانديين الذين فروا إلى مراكبهم ، ولم تلبث امدادات أخرى أن وصلت من قرطبة ، ودارت الموقعة الحاسمة عند بلدة طلياطه ، هزم فيها النورمانديون ، وقتل منهم نحو الخمسمائة من بينهم قائد اسطولهم، كما أحرق من مراكبهم ثلاثون مركبا واضطروا عقب ذلك إلى الانسحاب إلى لبة (Niebla)، ومنها توجهوا إلى أشبونة حيث انقطع خبرهم<sup>(٣)</sup>

(١) هو عبدالله بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي ، ينتسب إلى أحد البيوتات الأندلسية المعروفة واشتهر منها عبدالله هذا واخوته عامر ومحمد وعبدالمك وعبدالرحمن ، فقد ولي الأولان القيادة للأمير عبدالرحمن الأوسط ، إذ اسند الى عبدالله بن كليب ولاية سرقسطة كما قلد أخاه عامر بن كليب على تطيلة في سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤١ م ، وفي العام التالي (سنة ٢٢٧ هـ) عزل عبدالله من سرقسطة ، ويرجع أنه انتقل بعد ذلك الى ولاية تطيلة . انظر (ابن حيان، قطعة من المقتبس، تحقيق محمود مكى ، ص ٤٦ - ٤٧ هـ ، ٢ ، العذرى ، نفسه ص ١٠٠ ؛ ابن عذارى ، نفسه ج ٢ ، ص ٨٧) .

(٢) هو الوزير القائد محمد بن سعيد بن رستم ، ينتسب إلى أسرة بنى رستم التى ولي أفرادها الوزارة والقيادة للأمويين فى الأندلس وجدهم الأعلى هو عبدالرحمن بن رستم الفارسي (مولى الفجر بن يزيد بن عبدالملك الأموي) مؤسس الدولة الرستمية الخارجية فى تاهرت بالمغرب الأوسط، التى كانت ترتبط مع الدولة الأموية فى الأندلس بعلاقات المودة والصداقة ، وكان أول من دخل الأندلس من بنى رستم هو سعيد بن محمد بن عبدالرحمن بن رستم حفيد منشئ الدولة الرستمية ، واتصل ابنه محمد بن سعيد بن رستم - المذكور - بالأمير عبدالرحمن الأوسط الذى جعله من خاصته ، وأسند إليه الوزارة والقيادة ، كما تولى طليطلة فى سنة ٢١٤ هـ . وقد توفى فى سنة ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م. انظر (المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ٤٤٨ - ٤٤٩ هـ ، ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣) .

(٣) انظر : ابن القوطية ، نفسه ص ٧٨ - ٨١ ، العذرى ، نفسه ص ٩٨ - ١٠٠ ، ابن الأثير الكامل ، ج ٦ ، ص ٨٣ - ٨٤ ، ابن دحية ، المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الايبارى وحامد عبدالمجيد واحمد بدوى ، القاهرة سنة ١٩٥٤ ، ص ١٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٢٩ ؛

== Levi-Provençal, Historie, t. I, pp. 219 - 224,

وبعد نجاح المسلمين في صد تلك الغارة النورماندية على سواحل الأندلس الغربية، بدأ الأمير عبدالرحمن الأوسط يتفرغ لمواصلة الجهاد ضد النصارى الإسبان في الشمال، فبعث بصائفة في سنة ٢٣٤هـ / ٨٤٨ - ٨٤٩م على رأسها ابنه المنذر، وشاركه في القيادة عبدالواحد الاسكندراني، ويذكر ابن الأثير أن من أهداف تلك الحملة مهاجمة منطقة ألبه Alava (أقصى شمال الأندلس) وردع سكانها النصارى ودرء خطرهم عن الثغور الأندلسية المتاخمة لهم<sup>(١)</sup>. ولم يلبث الوزير القائد عبدالواحد الاسكندراني أن توفي في سنة ٢٣٧هـ / ٨٥١ - ٨٥٢م أي بعد سنوات ثلاث مضت على الحملة المذكورة، وسجل ببطولاته واسهاماته العسكرية صفحات كبيرة في التاريخ الإسلامي بالأندلس<sup>(٢)</sup>.

وجدير بالملاحظة أن المصادر العربية لم تزودنا بأية معلومات عن ذرية هذا القائد السكندري المشهور، باستثناء اشارة موجزة أوردها المؤرخ ابن عذارى المراكشي ألمح فيها إلى أحد احفاده ويدعى عبدالواحد بن محمد بن عبدالواحد الاسكندراني الذي توفي في أوائل عهد الخليفة عبدالرحمن بن محمد (الناصر لدين الله) في سنة ٣٠٩هـ<sup>(٣)</sup>، ومن المرجح أنه كان من ذوى النباهة في الحاضرة قرطبة، ولعله من الشخصيات المرموقة والمقربة من الخليفة عبدالرحمن

---

== عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٣٥ - ٢٣٧، مؤنس، غارات النورمانديين، ص ٢٨، وما يليها، مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٤٨ - ١٥٠، عنان نفسه، العصر الاول، ق ١، ص ٢٦١ - ٢٦٤، محمد أبو الفضل، حول السفارات الأندلسية، ص ٨٥ - ٨٦.

(١) انظر، ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمود مكى، ص ٢؛ ابن الأثير الكامل، ج ٦، ص ١٠٦.

(٢) ابن حيان، نفسه، تحقيق محمود مكى، ص ٨٧.

(٣) ابن عذارى، البيان، المغرب، ج ٢، ص ١٨٢.

الأوسط ، خاصة وأن ابن عذارى لا يذكر فى كتابه سوى وفيات ذوى الشأن من الوزراء والكتاب والقادة والعلماء فى عصر بنى أمية .

ومن الشخصيات السكندرية أيضا فى مجال الإدارة : أبو العباس السكرى الاسكندرانى ، الذى أثنى عليه بن حيان ووصفه بأنه «رجل ممتع الحديث ، طيب المجالسة» ، وقد خدم لبعض أمراء الطوائف فى الأندلس (القرن ٥ هـ / ١١م ، حيث كان من رجال دولة بنى حمود فى مالقة - ثم انتقل بعد ذلك الى بلاط بنى ذى النون أصحاب طليطلة ، فكان من خاصتهم ، ومن يحضرون مجالسهم<sup>(١)</sup> .

(٢)

### دور السكندريين فى الحركة الفكرية فى الأندلس

لا شك أن الروابط الثقافية بين مصر والأندلس كانت أقوى الروابط - كما سبقت الإشارة - حيث لم تنقطع الرحلات العلمية بين البلدين طوال العصر الاسلامي ، وكانت هذه الرحلات سواء علميه أو تجارية أو لأداء فريضة الحج من أهم العوامل الى ساعدت على تحقيق التواصل بين المشرق والمغرب الإسلامى فى العصر الوسيط<sup>(٢)</sup> .

ولقد شارك السكندريون مع علماء مصر الآخرين فى ازدهار الحياة العلمية

(١) انظر : ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ مجلد ١ ، ص ١٤٤ .

(٢) انظر : عبدالعزيز سالم ، التأثيرات المتبادلة ، ص ١ ، سعد زغلول عبد الحميد ، الأثر المغربى والأندلسى ، ص ٢٧٠ .

فى الأندلس ، وإن كان اسهامهم فى هذا المجال لا يبلغ قدر ما أسهم به اخوانهم الأندلسيون فى مدينة الاسكندرية ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن موجه الهجرة الأندلسية إلى مصر كانت أقوى من مثيلتها المصرية إلى الأندلس ، لوقوع مصر فى الطريق الى الشرقين الأدنى والأوسط لمن أراد منهم أداء فريضة الحج ، أو رغب فى التكسب بالتجارة ، أو سعى لطلب العلم ، أو قد يعود إلى سوء الأوضاع السياسية فى الأندلس عقب هزيمة الموحدين فى موقعة العقاب سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م ، وازدياد الضغط الاسبانى المسيحى على الوجود الاسلامى فى الأندلس خلال القرن ٧ هـ / ١٣ م أو إلى ارتباط أهل مصر الوثيق بتراب بلدهم واشتغالهم بحرفة الزراعة التى تستلزم منهم الارتباط بالأرض .

ويتضح اسهام السكندريين فى الحياة الثقافية فى الأندلس فيما يلى :

اولا : فى الحديث والفقه :

قام علماء الحديث السكندريون بدور ملموس فى نشر المذهب المالكى وازدهاره فى الأندلس ، كما ادخل بعضهم المذهب الشافعى <sup>(١)</sup> ، إلى بلاد الأندلس التى كانت تتعصب للمذهب المالكى منذ عهد الأمير هشام الرضا .

ومن أبرز علماء الحديث والفقه السكندريين الذين استقروا فى الأندلس ،

---

(١) حول دخول المذهب الشافعى إلى الأندلس راجع : ابن الفرضى تاريخ علماء الأندلس ، ص ٣٥٥ - ٣٥٧ ترجمة رقم ١٠٤٩ ،

Makki. Ensayo Sobre las aportaciones orientales. pp. 212 - 213.

احمد الطوخى ، ص ٧٥ ، وما يليها .

وايضا بحثى : شخصيات مغمورة من البيت الأموى فى الأندلس فى عصر الدولة الأموية ، مجلة كلية الآداب بسوهاج ، جامعة اسيوط سنة ١٩٩٤ ص ٧٠ هـ ٣



الفقيه المحدث زيد بن حبيب بن سلامة القضاعي الإسكندراني ، الذي دخل الأندلس في سنة ٤٣٣ هـ (في عصر الطوائف) ، وكانت لديه رواية واسعة عن شيوخ مصر والشام والحجاز واليمن ، ثم هاجر إلى الأندلس واستوطنها ، وكان شافعي المذهب ، ومن مؤلفاته في علم الحديث كتاب «الفوائد من عسالي حديثه» <sup>(١)</sup> ومنهم الفقيه أبو الطاهر اسماعيل بن الاسكندراني (عاش في القرن ٦ هـ) الذي تتلمذ ببيلده على يد السلفي <sup>(٢)</sup> فقيه الاسكندرية الشهير ، ثم دخل الأندلس ، واستقر بمرسيه ، وكان أيضا فقيها على المذهب الشافعي <sup>(٣)</sup> .

ومنهم الفقيه محمد بن محمد بن محارب القيسي الاسكندراني (عاش في القرن ٦ هـ) الذي دخل الأندلس في أواخر القرن السادس الهجري ، ونزل بغرناطة ،

(١) ابن بشكوال ، الصلة ، ق ١ ، ص ١٩٢ ترجمة رقم ٣٤٩ ؛ احمد الطوخي ، نفس المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٢) هو أبو الطاهر أحمد بن محمد الاصبهاني السلفي (نسبة إلى لقب جده) أحد الحفاظ المكثرين ، رحل في طلب الحديث وتلمذ على أيدي كبار الشيوخ في المشرق الاسلامي ، وكان شافعي المذهب ، وقد زار بغداد واخذ الفقه وعلم اللغة عن علمائها ، ثم دخل الاسكندرية سنة ٥١١ هـ ، وأقام بها وقصده طلاب العلم من مختلف أنحاء مصر ، وسمعوا عليه ، وانتفعوا بعلمه ثم بنى له العادل على بن السلار (وزير الخليفة الظاهر الفاطمي) مدرسة بشفر الاسكندرية تعرف بالمدرسة العادلية أو بمدرسة الحفاظ السلفي في سنة ٥٤٤ هـ ، وأسند إليه التدريس بها ، إلى أن توفي بالاسكندرية في سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م .

انظر (ابن رشيد السبكي ، السنن الأبين ، تحقيق الحبيب بن الخوجة ، تونس ، بدون تاريخ ، ص ٢٧ ، ٦٩ هـ ، المقرئ ، ازهار الرياض ، ج ٣ ، الرباط ، سنة ١٩٧٨ ، ص ١٦٧ وما يليها ؛ جمال الدين الشيبان ، تاريخ مدينة الاسكندرية ، ص ٤٤ ؛ أعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي ، القاهرة سنة ١٩٦٥ ، ص ١٢٩ وما يليها ، عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة الاسكندرية وحضارتها ، ص ٢١٩ ؛ سعد زغلول عبد الحميد ، الأثر المغربي ، ص ٢٣٤ ، أحمد النجار ، الانتاج الأدبي في مدينة الاسكندرية في العصور الفاطمية والأيوبي ، القاهرة سنة ١٩٦٤ ، ص ٥٦ ، ٦٢ - ٦٣) .

(٣) أنظر : ابن الابار ، التكملة ، ج ١ ، ص ١٩٠ ترجمة رقم ٥٠١ ، المقرئ ، نفع الطبيب ، ج ٤ ، ص ١٤٠ ، اسامة حماد ، نفسه ، ج ٤ ، ص ٩٢١ .

وروى عن الفقيه ابن الفرس <sup>(١)</sup> ، الذى كان من جله فقها - بلدة غرناطة <sup>(٢)</sup> .  
والفقيه المحدث أحمد بن معد التجيبى الاسكندراني المعروف بالأقلشئى (ت سنة  
٥٥١هـ) - الذى ينتسب الى الاسكندرية - بلد أجداده - نشأة بدانية ، واستقر  
بها وتلمذ على أيدي كبار العلماء الأندلسيين أمثال ابن العربى <sup>(٣)</sup> وابن سكرة  
الصدفى <sup>(٤)</sup> وعبدالحق بن عطية <sup>(٥)</sup> وغيرهم ، وكان متفننا فى علوم شتى ، عالما

---

(١) هو عبدالمعزم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجى المعروف بابن الفرس ولى القضاء فى عدة مدن  
أندلسية وآخرها بقرناطة فى عهد الخليفة يعقوب المنصور الموحدى ، وجعل له أيضا النظر فى  
الحسبة والشرطة ، وقام بأعماله خير قيام ، وله عدة مؤلفات فى الفقه منها كتاب الأحكام ، وقد  
توفى فى سنة ٥٩٧هـ ، ودفن بباب البيرة بقرناطة ، انظر (النباهى ، تاريخ قضاة الأندلس ، ص  
١١٠) .

(٢) ابن الأبار ، التكملة ؛ ج ، ص ٦٦٨ ، ترجمة رقم ١٦٩٨ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربى المعافى الإشبلى ، قاضى قضاة اشبيلية ، وأحد أئمة  
الأصول والفروع فى عصر المرابطين ، رحل الى المشرق سنة ٤٨٥ هـ ، وتفوق على علماء الشام  
وبغداد والحجاز والاسكندرية ، ثم عاد إلى بلده الأندلس سنة ٤٩٣هـ ، وكان متقدما فى المعارف  
كلها حريصا على نشرها ، واسع الرواية ، وتوفى بالمغرب الأقصى ، ودفن بمدينة فاس سنة  
٥٤٣هـ .

انظر (النباهى ، نفسه ، ص ١٠٥ - ٩٠٧ ، الملقى نفع ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ وما يليها .

(٤) هو أبو على حسين بن محمد بن فبره بن حيون المعروف بابن سكره الصدفى من أهل سرقسطة ،  
سكن مرسية واستقضى بها ثم استعفى ، ثم تولى قضاء المرية بعد ذلك ، وكان قد رحل الى  
المشرق لطلب العلم فى سنة ٤٨١ هـ وسمع بمكة والبصرة ، ثم عاد الى الأندلس سنة ٤٩٠هـ  
واستوطن مرسية ، ودرس بجامعة ، ورحل الناس من بلدان عديدة إليه وكثر السماع عليه ،  
وتوفى شهيدا بشفور الأندلس فى سنة ٥١٤هـ . انظر (ابن الأبار ، المعجم فى أصحاب القاضى  
الامام أبى على الصدفى ، نشر دار الكاتب العربى ، القاهرة سنة ١٩٦٧ ، مقدمة الكتاب ؛  
المقرى ، نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ - ٤٣٠) .

(٥) هو الفقيه القاضى أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربى ، من أهل  
غرناطة ، وأحد القضاة بالبلاد الأندلسية ، وصدور رجالها ، ينتسب إلى بيت علم وفضل وكرم ،  
كان عارفا بالأحكام والتفسير والحديث علاوة على الأدب والشعر ، ولى قضاء المرية فى سنة  
٥٢٩هـ ، وله كتاب الوجيز فى التفسير ، وتوفى بمدينة لورقة بشرق الأندلس سنة ٥٤١ هـ ،  
انظر (النباهى ، نفسه ص ١٠٩) .

عاملا متصوفا ، ومن مصنفاته فى علم الحديث «كتاب النجم» و «كتاب الكواكب» و «كتاب الغرر من كلام سيد البشر» ، و «كتاب حلى الأولياء» فى عدة أسفار (١) .

### ثانيا : فى علم التاريخ :

كان لطبقة التابعين من أهل مصر الذين دخلوا الأندلس عند الفتح ، ثم عادوا إلى بلدهم مصر أثر كبير فى كتابه الأخبار التاريخية الأولى عن الأندلس ، ومن هؤلاء : على بن رباح وابو عبدالرحمن الحبلى وحبان بن أبى جيلة القرشى ويكر بن سواده الجذامى وغيرهم ، وكان لهذه الطبقة من التابعين منزلة كبيرة فى مصر والمغرب والأندلس ، ولهذا كان من الطبيعى أن تتبع الأندلسيون أخبار بلادهم لدى هؤلاء أو من بقى فى مصر من نسلهم ، وساعد ذلك على ازدياد مكانة العلماء المصريين فى عيون تلاميذهم الأندلسيين مما جعل مصر هى المصدر الأول لأخبار الغرب الإسلامى (٢) .

وكان لعلماء الاسكندرية الذين وفدوا على الأندلس اسهام فى مجال الكتابة التاريخية ومن أشهرهم : محمد بن أبى السرور الروحى الاسكندراني ، الذى دخل الأندلس فى أواخر القرن ٥هـ / ١١م ، وسمع من الفقيه ابن سكره الصدفى السرقسطى ، ومن أهم مؤلفاته : كتاب فى تاريخ الدولة العبيدية (الفاطمية) (٣) .

(١) انظر ، ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص ٧٤ .

(2) Mahmud Makki, Egipto Y Los origens de lah istorografia arabigo-espanola, Revista del institute de estudios Islamicos Madrid, 1957, pp. 167 - 169,

راجع ايضا : العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٣٦ .

(٣) ابن الأبار ، المعجم ، ص ١٠٢ ، ترجمة رقم ٨٣ .

### ثالثا : فى علم الفلك

برز الكثير من علماء مصر والاسكندرية فى علم الفلك<sup>(١)</sup> وتأثر بهم الفلكيون فى الأندلس ويرى الباحث الاسبانى بايكروسا (Vallicrosa) أن الزرقالى<sup>(٢)</sup> الفلكى الطليطلى المشهور صنف تقويمه - وهو توقيت للأيام والتواريخ حسب منازل القمر والنجوم - على أساس تقويم صنعه فلكى سكندرى ويستدل على ذلك من وجود ترجمة لرسالة عربية بين مؤلفات الفونسو

---

(١) من علماء مصر فى علم الفلك نذكر : ابن سند المنجم واضع الزيج الحاكمى المشهور الذى صنعه للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى ، ويصفه ابن سعيد بأنه لم يكن بالقاهرة فى صناعة النجوم مثله ، ويضيف الباحث بايكروسا أنه فى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر الأموى (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) وصلت إلى قرطبة رسالة فى الاسطراب للفلكى المصرى ما شاء الله ، وقد لقيت تلك الرسالة اقبالا عظيما فى الأندلس وأوربا بعد ترجمتها الى اللاتينية . انظر (ابن سعيد، النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، تحقيق حسين نصار ، ص ٣٦٤ :

J.M. Vallicrosa, El Quehacer astronomico de la España arabe, Revista de institute de estudios islamicos, Madrid. 1957, pp. 53 - 54.

(٢) هو أبو اسحاق ابراهيم بن يحيى النقاش التجيبى المعروف بالزرقالى أو ابن الزرقالة الطليطلى (ت سنة ٤٩٣هـ) أحد الأندلسيين البارزين فى علم الفلك والرياضيات ، وكان من أعلم الناس فى الأندلس بالأزياج ، وهى التقاويم الفلكية القائمة على حساب النجوم وقد حظى الزرقالى بمنزلة رفيعة لدى المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة فى عصر الطوائف . وتتجلى مهارة الزرقالى العملية فى صناعته لحوضين كبيرين معروفان باسم البيبتين خارج طليطلة ، قدر بهما منازل القمر على أساس رياضى دقيق ، ومن أعماله أيضا الجداول الطليطلة وتعديل الزيج المأمونى ورسالة فى النجوم الثابتة والصفحة ، وهى صفحة من معدن رسمت عليها كرة الأرض بخطوط الطول والعرض تتخذ أساسا لقياس الأبعاد والأطوال ، وقد وضع الزرقالى تقويما يعتبر أساس كل التقاويم التى وضعت فى العصور الوسطى . انظر (صاعد الأندلسى ، طبقات الأمم ، طبعة مصر ، بدون تاريخ ص ٨٥ ، الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٨٣ ، ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ص ١٣٨ - ١٣٩ ترجمة ٣٥٨ : القفطى ، أخبار الحكماء ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٤٢ : جونشالت بالنشيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ، ص ٤٥١ - ٤٥٣ : بايكروسا ، جهود الزرقالى فى علم النجوم ؛ ترجمة حسين مؤنس ضمن بحوث الجلسات العلمية الاندلسية ، مالقة سنة ١٩٦٦ ، ص ٢٧ - ٢٨ ؛ Vallicrosa, op. cit., pp. 60 - 63.

العاشر تتضمن تقوينا منسوباً الى عالم سكندري الأصل شديد الشبه بالتقويم الزرقالي (١) .

(٣)

### السكندريون ودورهم فى التجارة الخارجية

أكدت المصادر الجغرافية وجود صلات تجارية بين الاسكندرية وموانئ الأندلس الكبرى مثل المرية ومالقة ودانية، فيذكر الادريسي أن المرية كانت تقصدها المراكب من الاسكندرية ، ويضيف بأن مصر كانت باب المغرب ، ومنها تجلب طرائف الهند والسند والعراق إلى بلاد المغرب والأندلس (٢) .

وهناك إشارات عديدة فى وثائق الجنييزة تفيد بأن سفن الاسكندرية كانت

---

(١) الفونسو العاشر (Alfonso X) المعروف بالعالم (El. Sabio) ملك قشتالة وليون (١٥٢ - ١٢٨٤م) ، ولد فى طليطلة سنة ١٢٢١م ، وكان من أكبر دعاة الثقافة الاسلامية فى اسبانيا المسيحية، وقد اشتهر باقباله على العلم وتشجيعه للعلم والعلماء ، وكان لتلك السياسة أثرها الكبير فى ترجمة العديد من الكتب العربية إلى القشتالية، وتم تأليف عدد كبير من الكتب تحت رعايته، وجمعت مادة معظم هذه الكتب من المصادر العربية بمساعدة من العلماء اليهود، ومن أهم تلك المؤلفات المدونة العامة الأولى لتاريخ إسبانيا المعروف باسم Primera Cronica General de Espana

علاوة على كتاب التاريخ العام الكبير المسمى Granded Genneral Estoria ويتضمن دراسات فى الفلك والأزياج الألفونسية المشهورة ، انظر: (ترند ، إسبانيا والبرتغال، ترجمة حسين مؤنس ، ضمن كتاب تراث الاسلام) ج ١ ، نشر لجنة الجامعيين سنة ١٩٨٣ ، ص ٦٠ - ٦١. Aguado Bleye. Manual de historia de Espana, Madrid, ١٩٤٧, pp. 681 - 682.

(٢) انظر : نزهة المشتاق ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، ٥٦٢ .

تتجه مباشرة الى ميناء المرية الأندلسي ، وأن التجار اليهود كانوا يتنقلون باستمرار ودون قيود بين الاسكندرية والمرية وإشبيلية طوال العصر الوسيط <sup>(١)</sup> .  
وجدير بالملاحظة أن كتب التراجم لم تزودنا بأسماء من ورد على الأندلس من التجار السكندريين ، حيث أن التراجم التي وصلتتنا تتصف بأنها مصرية ، دون تحديد المدينة أو البلدة التي ينتسب اليها هؤلاء التجار، غير أن نقشا كتابيا على شاهد قبر عثر عليه في المرية يتضمن إشارة غاية في الأهمية تدل على وجود علاقات تجارية وثيقة بين الاسكندرية الفاطمية والمرية (في عصر المرابطين)، فيفيد النقش الجنزي <sup>(٢)</sup> الذي عثر عليه في مدينة المرية أن تاجرا سكندريا يدعى ابن خليف <sup>(٣)</sup> رحل إلى المرية في تجارة ، وتوفى بها سنة

(1) Goitein, Amediterranean Society, Vol. I, California, 1967, pp. 212 - 213.

(٢) أور الباحث ليفى بروفنسال نص النقش الجنزي ، وهو كما يلي :

.. الحمد لله .. وارث الأرض ومن عليها ومعيد من خلق فيها إليها الذي جعل الموت غاية المخلوقين وسبيل الأولين والآخرين وأنفرد بالبقاء لا إله إلا هو رب العالمين ها ذا قبر التاجر .... ابن خليف الاسكندراني توفى رحمة الله عليه غدوة يوم الجمعة التاسع عشر من شهر رجب الفرد عام تسعة عشر وخمس مائة وهو يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وإن محمد عبده ورسوله وأن الجنة حق . يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يفركم بالله الغرور .

انظر (Levi Provencal, Inscriptions arabes D'Espagne, Paris, 1931, p. 116).

(٣) بنو خليف من الأسر السكندرية المشهورة بالعلم والجاه والنباهة في ثغر الاسكندرية في العصرين الفاطمي والايوبي ، فيذكر المقرئ - نقلا عن ابن ظافر - أن بنى خليف كانوا يمتلكون قصرا بظاهر الاسكندرية ، ووصفه الشاعر ابن قلاقس ، السكندري بأنه مطل على البحر ويمتاز بالجمال والارتفاع ، ومحاط بأشجار الكروم، والنخيل ، انظر : (المقرئ ، نفح ، ج ٤ ، ص ٢٤٣ ، عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة الاسكندرية ، ص ٢١٥ ؛

Abd El Aziz Salem D'Alexandria A Almeria, Une Famille Alexandrineau moyen age, Aix, en-provence, 1987, () 66

٥١٩هـ/١١٢٥م<sup>(١)</sup>.

ولعل ازدهار التجارة الخارجية بين الاسكندرية والمرية ، يرجع الى غلبة الاتجاه البحرى على موقعيهما ، واعتمادهما علي النقل البحرى فى مجال التجارة الخارجية ، فكانت الاسكندرية هى باب المغرب ، فى حين كانت المرية هى باب المشرق ، ومفتاح الرزق ، وتقصدها المراكب من شتى موانئ البحر المتوسط خصوصا من الاسكندرية والشام ، مما كان سببا فى ثراء أهلها ، ورخاء المدينة ، وعمران أسواقها بمختلف السلع والتجارات<sup>(٢)</sup>.

ونذكر المصادر الجغرافية ان تجار الاسكندرية كانوا يحملون الى بلاد الاندلس والمغرب : التوابل التى تعتبر من أهم السلع فى تجارة الصادرات فى ثغر الاسكندرية ، علاوة على البخور والعطور والأعشاب الطبية ومواد الصباغة والأقمشة الكتانية السكندرية المشهورة والمنسوجات الموشاة بخيوط من الذهب والفضة. وكانوا يجلبون - بدورهم - من الأندلس زيت الزيتون الإشبيلي المعروف بجودته ، والتين المالحى والغضار المذهب (الحزف) والمنسوجات الحريرية ، وغير ذلك من السلع الأندلسية التى ذاع صيتها فى شرق البحر المتوسط

(١) عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٤ ، ص ١٧٠.

Salem, D Alexandria A Almeria, p. 67.

(٢) انظر الادريسي ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٦٢ ؛ ابن غالب ، فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى عبدالبديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ج ٢ ، سنة ١٩٥٥م ، ص ٢٨٣ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٣ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة ١٩٨٤ ، ص ٦٥ ، ٥٣٨.

Salem, Algunos aspectos del Flore cimiento de Almeria Islamica, Madrid, 1979, p. 11 & Emilio Molina Lopez, Algunos consideraciones sobre la vida socio-economico de Almeria, actas del IV coloquio Hispano - Tuncetiono, Madrid, I.

## وأوروبا المسيحية (١)

(٤)

### اسهام السكندريين فى الفنون الاندلسية

#### ١ - فى فن العمارة :

أشارت المصادر الاندلسية إلى اسهام أحد عرفاء البناء السكندريين فى بناء مدينة الزهراء (٢) قرب الحاضرة قرطبة فيذكر المقرئ - نقلا عن ابن حيان - ان الخليفة عبدالرحمن الناصر استعان عند شروعه فى بناء مدينة الزهراء بمجموعة من عرفاء البناء (المهندسين) المشهورين فى عهده ومنهم على بن جعفر الاسكندراني

(١) ابن حوقل ، صورة الارض ، بيروت بدون تاريخ ، ص ١٠٩ ، الزهرى ، نفسه ، ص ٥٠ : ٨٩ ؛ الحميرى ، نفسه ص ٥٩ ، ٤٦٩ ، ٥١٧ ؛ عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ١٢٧ ؛ عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى فى المغرب الاسلامي ، بيروت سنة ١٩٨٣ ، ص ٣٢٠ ؛ أحمد الطوخى نفسه ، ص ٨٨ - ٨٩ ؛ اسامة حماد نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٠١ - ٨١٠ ؛

Pedro Martinez, Islam, Y cristiandad en la economia Mediterranean, Moscu, 1970, p. 10.

(٢) تقع مدينة الزهراء بسفح جبل العروس على مسافة خمسة أميال غرب قرطبة ، وقد بدأ الخليفة الناصر فى بنائها فى سنة ٣٢٥ هـ - ويصفها الادريسي بأنها مدينة عظيمة رحبة البنية ، مدينة فوق مدينة ، حيث أنها تتكون من ثلاثة أجزاء ، فالجزء العلوى منها عبارة عن قصور يقصر الوصف عن صفاتها ، أما الجزء الأوسط فهو بساتين وروضات ، بينما الجزء الثالث يشتمل على الجامع وديار أهل الخدمة والفتيان الصقالية والجند المرتبين ، وكان أول بناء يقيمه العرفاء هو قصر الخلافة الذى كان يشتمل على ١٢٠ دارا ومخازن وأهراء للزيت والسمن والسجن الكبير ، وكان القصر يضم مجلسين رئيسيين هما المجلس الشرقى ويعرف بقصر المؤنس ، والمجلس الغربى ويسمى مجلس البديع أو مجلس الذهب ، وكانت أرضيته مكسوة بالرخام الملون ، وكان يتوسط هذا المجلس حوض مذهب كبير مملوء بالزئبق ، وكانت المدينة تضم أيضا دارا للسكة علاوة على البساتين التى احتوت على حديقة للحيوانات وحوض السباحة وغير ذلك من أماكن التسلية واللهو راجع التفاصيل حول وصف الزهراء فى " الإدريسي ، نفسه



ومسلمة بن عبدالله (عريف العرفاء) وعبد الله بن يونس وحسن بن محمد القرطبي ، ويضيف المقرئ أن عرفاء البناء جلبوا الرخام من قرطاجة وتونس وصفاقس بإفريقية، التي اشتهرت بالرخام الوردى والأخضر ، وكان الخليفة الناصر يجزل لهم العطاء نظير ذلك <sup>(١)</sup> .

## ٢ - فى فن الغناء والموسيقى

ازدهر فن الغناء والموسيقى فى الأندلس منذ عصر الدولة الأموية، وساعد على ذلك تشجيع أمراء بنى أمية وخلفائهم لذوى المواهب الفنية واستقدام العديد

---

ج ٢، === ص ٥٧٩، ابن غالب نفسه، ص ٣٠٠؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١١٤؛ جومث مورينو، الفن الإسلامى فى إسبانيا، ترجمة لطفى عبدالبديع وعبدالعزیز سالم، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٧١ ما يليها؛ أحمد فكرى، قرطبة فى العصر الاسلامى، الاسكندرية، ١٩٨٣، ص ٢٠٢ وما يليها، عبدالعزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ١، بيروت سنة ١٩٧١، ص ٢٣٧ وما يليها؛

Torres Balbas, Ciudades hispano musulmana, t. 1, Madrid, pp. 63 - 64.

(١) نفع الطيب، ج ٢، ص ٦٨، ١٠٥، عبدالعزيز سالم، قرطبة، ج ١، ص ٢٣٧ - ٢٣٨، محمد الكحلوى، عرفاء البناء فى المغرب والأندلس، بحث ألقى فى مؤتمر الأندلس بالرياض سنة ١٩٩٣، ص ١٧. وتجار الإشارة هنا إلى أن منار الاسكندرية الشهير الذى كان يعد أحد عجائب الدنيا أثر ايضا على العمارة المغربية والأندلسية لكونه أبرز معالم الاسكندرية فى العصر الاسلامى ورسوخ صورته فى أذهان المغاربة والأندلسيين. ووما يؤكد ذلك أن مهندسى البناء الأندلسيين فى عهد الخليفة المنصور الموحدى تأثروا بعمارة المنار الداخلية فى بناء مثذنة جامع القصبة بإشبيلية، حيث ان هذه المثذنة (وكذلك مثذنة جامع الكتبية بمراكش ومثذنة جامع الرباط) مثل المنار يصعد إلى أعلاها بغير درج إنما فى «طريق واسعة للدواب والناس»... وقد بنيت المثذنة من الحجارة التى نقلت من سور قصر ابن عباد. انظر (ابن صاحب الصلاة)، المن بالأمامة، تحقيق عبدالهادي التازى، بيروت سنة ١٩٦٤ ص ٤٨٢؛ عبدالعزيز سالم، المساجد والقصور فى الأندلس، الاسكندرية سنة ١٩٨٦، ص ٤١ - ٤٢؛ سالم التأثيرات المتبادلة، ص ٤ - ٥.

من المغنيات والمغنيين من بلدان المشرق الاسلامي وخصوصا من بغداد والمدينة <sup>(١)</sup>

وقد عرف عن الخليفة عبدالرحمن الناصر انه استقدم مغنيات سكندريات لأول مرة إلى الأندلس . فيذكر ابن الأثير انه في سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ - ٩٥٦ م جلب الخليفة الناصر عدة جوارى معنيات من الاسكندرية <sup>(٢)</sup> ، ولا شك أنهن أسهمن مع زميلاتهن المدييات وغيرهن من الجوارى اللاتي تعلمن على يد المغنى العراقي الشهير رريباب في رقى من الغناء والموسيقى في الأندلس . وساعد على ذلك أيضا ظهور الموشحات التي نظمت لتلائم الغناء والموسيقى دون التقيد بعلم العروض والقافية <sup>(٣)</sup>

---

(١) انظر المقرئ . نفع الطيب ج ٤ ، ص ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٣٧ . ١٤ حوليان ريبيرا ، الترييه الإسلامية في الأندلس . ترجمة الطاهر مكى . دار المعارف القاهرة سنة ١٩٨١ . ص ٩٦

(٢) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ٧ طبعه سروب . ص ٢٥٤ عبدالعزير سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ج ١ ص ٥٩

(٣) انظر بيمور حمد أثر الموسيقى العربية في الموسيقى الأندلسية بحث القى في مؤتمر الحضارة الأندلسية بجامعة القاهرة ٢ ما، س ١٩٨٥ ص ٨

## مصادر ومراجع البحث

### اولا : المصادر العربية القديمة :

- ١ - ابن الأبار : التكملة ، كتاب الصلة ، نشر عزت العطار الحسينى ، القاهرة سنة ١٩٥٦ .
- ٢ - ابن الأبار : الحلة السيرا ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- ٣ - ابن الأبار : المعجم فى أصحاب الامام القاضى أبى على الصدفى ، القاهرة ، سنة ١٩٦٧ .
- ٤ - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، . طبعة بيروت ، سنة ١٩٨٧ .
- ٥ - الادريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، نشر دار الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ٦ - ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة ١٩٧٩ .
- ٧ - ابن بشكوال : الصلة ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦ .
- ٨ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب القاهرة سنة ١٩٣٠ .
- ٩ - ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، طبعة ، بيروت سنة ١٩٨٣ .
- ١٠ - ابن حوقل : صورة الأرض ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ .
- ١١ - ابن حيان : قطعة من المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، بيروت ، سنة ١٩٧٣ .

- ١٢ - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، نشر ليفى بروفنسال ، الرباط ، سنة ١٩٣٤ .
- ١٣ - ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بيروت سنة ١٩٧١ .
- ١٤ - الحميدى : جذوة المقتبس ، نشر الدار المصرية للتأليف ، القاهرة سنة ١٩٦٦ .
- ١٥ - ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق شوقى ضيف ، دار المعارف بدون تاريخ .
- ١٦ - ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة على المستضعفين ، تحقيق عبدالهادى التازى ، بيروت سنة ١٩٦٤ .
- ١٧ - صاعد الاندلسى : طبقات الأمم ، طبعة مصر ، بدون تاريخ .
- ١٨ - ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة ، نشر ليفى بروفنسال ، المعهد العلمى الفرنسى ، القاهرة ج ، سنة ١٩٥٥ .
- ١٩ - ابن عذارى المراكشى : البيان لمغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، ج ١ ، ٢ ، نشر كولان وليفى بروفنسال ، بيروت سنة ١٩٨٠ .
- ٢٠ - العذرى : ترصيع الأخبار ، تحقيق عبدالعزيز الأهوانى ، مطبعة المعهد المصرى بمدير سنة ١٩٦٥ .
- ٢١ - ابن غالب : قطعة من فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى عبدالبدیع ، محلة المعهد المخطوطات العربية ، ج ٢ ، سنة ١٩٥٥ .
- ٢٢ - ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، نشر الدار المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦ .
- ٢٣ - القفطى : أخبار الحكماء ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ .
- ٢٤ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار

- الكتاب المصرى واللبنانى ، سنة ١٩٨١ .
- ٢٥ - الكندى : الولاة والقضاة ، نشر رفن جست ، طبعة بيروت سنة ١٩٠٨م ،
- ٢٦ - المقرئ : أزهار الرياض فى أخبار عياض ، الرباط سنة ١٩٧٨ .
- ٢٧ - المقرئ : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق يوسف البقاعى ، بيروت سنة ١٩٨٦ .
- ٢٨ - المقرئ : الخطط ، ط ٢ ، القاهرة سنة ١٩٨٧ .
- ٢٩ - مؤلف مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب المصرى ، سنة ١٩٨١ .
- ٣٠ - النباهى الملقى : تاريخ قضاة الأندلس ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ .
- ٣١ - النورى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، تحقيق أحمد كمال زكى ، القاهرة ، سنة ١٩٨٠م .

## ثانيا : المراجع العربية الحديثة والمعربة :

- ١ - أحمد محمد الطوخى (دكتور) : مصر والأندلس ، دراسة فى العلاقات السياسية والعملية والاقتصادية والفنية، نشر مركز الدلتا، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٨م.
- ٢ - أحمد النجار : الانتاج الأدبى فى مدينة الاسكندرية فى العصرين الفاطمى والايوبى ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤ .
- ٣ - أحمد مختار العبادى (دكتور) : بعض مظاهر العلاقات التاريخية بين مصر والأندلس ، بحث ألقى فى مؤتمر الحضارة الأندلسية بجامعة القاهرة مارس سنة ١٩٨٥ .
- ٤ - أحمد مختار العبادى (دكتور) : فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية بدون تاريخ .
- ٥ - أحمد مختار العبادى (دكتور) : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، الاسكندرية سنة ١٩٨٧ .
- ٦ - أحمد مختار العبادى (دكتور) ، والسيد عبدالعزيز : تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ، الاسكندرية ، بدون تاريخ.
- ٧- أسامة أحمد حماد : الاسكندرية فى عصر دولتى سلاطين المماليك رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بآداب الاسكندرية سنة ١٩٨٧ .
- ٨- بايكروسا : جهود الزرقالى فى علم النجوم ، ضمن بحوث الدورة الخامسة للجلسات العلمية الأندلسية ، ترجمة حسين مؤنس ، مالقة سنة ١٩٦٦ .

- ٩ - تيمور أحمد : أثر الموسيقى العربية فى الموسيقى الاندلسية، بحث ألقى فى مؤتمر الحضارة الاندلسية بجامعة القاهرة ، مارس سنة ١٩٨٥ .
- ١٠ - جمال الدين سرور (دكتور) : مصر فى عصر الفاطميين (ضمن موسوعة تاريخ مصر الاسلامية ) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٩٢ .
- ١١ - جمال الدين الشيال (دكتور) : تاريخ مدينة الاسكندرية فى العصر الاسلامى ، دار المعارف ، سنة ١٩٦٧ .
- ١٢ - حسن أحمد محمود (دكتور) : حضارة مصر الاسلامية فى العصر الطولونى ، دار الفكر العربى ، بدون تاريخ .
- ١٣ - حسين مؤنس (دكتور) : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، نشر دار المستقبل، القاهرة سنة ١٩٨٠ .
- ١٤ - حمدى عبدالمنعم محمد (دكتور) : مجتمع قرطبة فى عصر الدولة الأوية رسالة دكتوراه ، غير منشورة نوقشت بآداب الاسكندرية ، ١٩٨٤ .
- ١٥ - خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس ، ترجمة الطاهر مكى ، دار المعارف ، سنة ١٩٨١ .
- ١٦ - سعد زغلول عبدالحميد (دكتور) : الأثر المغربى والأندلسى فى المجتمع السكندري ، ضمن بحوث مجتمع الاسكندرية عبر العصور ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، سنة ١٩٧٥ .
- ١٧ - سعد زغلول عبدالحميد (دكتور) : تاريخ المغرب العربى ، الاسكندرية، سنة ١٩٧٨ .
- ١٨ - السيد عبدالعزيز سالم (دكتور) : التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب

الاسلامى فى مجال فنون العمارة والزخرفة ، بحث ألقى فى  
مؤتمر التبادل الحضارى بين شعوب البحر المتوسط ، الاسكندرية ،  
١٩٩٤

١٩- السيد عبدالعزيز سالم (دكتور) : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، طبعة  
بيروت . سنة ١٧١ .

٢٠- السيد عبدالعزيز سالم (دكتور) : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ،  
الاسكندرية ، سنة ١٩٨٤ .

٢١- السيد عبدالعزيز سالم (دكتور) : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ،  
الاسكندرية ، بدون تاريخ .

٢٢- سيدة كاشف (دكتور) : مصر فى عصر الولاة ، القاهرة سنة ١٩٨٨ .

٢٣- سيدة كاشف (دكتور) : مصر فى عهد الاخشيديين ، القاهرة ، سنة  
١٩٨٩ .

٢٤- محمد أحمد ابرو الفضل (دكتور) : حول السفارات الأندلسية الي دول أوروبا  
، مجلة كلية الآداب ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٣ - ١٩٨٤ .

٢٥- محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، القاهرة ، سنة ١٩٨٨ .



ثالثا : المراجع الاجنبية :

- 1- Abd Al Aziz Salem: D'Alexandrie A Almeria, Une Famille Alexandria au moyen age, Aix-en Provence, 1987.
- 2- Abd Al Aziz Salem: Algunos aspectos del Florecimiento de Almeria Islamica, Madrid, 1979.
- 3- Aguado Bleye: Manual de historia de Espana, Madrid, 1974.
- 4- Gaspar Remiro: Murica musulmana, Zaragoza, 1905.
- 5- Goitein: A mediterranean Society, Vol, 1, California, 1967.
- 6- Levi-Provencal: Historie de L'Espagne musulmane, paris. 1950.
- 7- Levi Provencal: Inscriptions arabes d'Espagne Paris, 1931.
- 8- Levi Provencal: L'Espagne musulmane au xeme Siecle, Paris, 1932.
- 9- Elias Teres: Linajes arabes en al-Andalus, Revista del al-Andalus, XII, Madrid, 1957.
- 10- Mahmoud Makki: Ensyao Sobre Las aportaciones orientales en la Espana musulmana, Revista

del insituto de estudios islamicos - vol,  
Ix X. Madrid, 1961-1962.

- 11 Mikel de Eplaza: El esplendor de al - Andalus  
reflejo del esplendor Fatimi, en actas del IV  
Coloquio Hispano-Tunecino. Madrid, 1983.
- 12- Pedro Martinez: Islam Y cristinaidad en la  
economia mediterraneanm, Moscu, 1970.
- 13- Rubiera (M.J.) La Taifa de Denia, Alicante, 1985.
- 14- Simonet: Historia de los Mozarabes de Espana,  
Madrid, 1903.
- 15- Torres Balbas: Ciudades hispano musulmanas,  
Madrid.

## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢ - ١	مقدمة
٥٤ - ٣	البحث الأول: بنوتافراجين ودورهم في تاريخ الدولة الحفصية.
	البحث الثاني: تاريخ مدينة طرطوشة الإسلامية وحضارتها في
١١٢ - ٥٥	عصر دويلات الطوائف.
	البحث الثالث: شخصيات سكندرية في الأندلس فيما بين
١٥٠ - ١١٣	القرنين الثالث والسادس للهجرة .







0293353